

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لمن جعل روح معاني الآكوان تفسيراً لآيات قدرته * وصير نقوش أشباح الأعيان ياناً للينان وحدته *
وأظهر من غيب هويته قرآناً غداً فرقانه كشافاً عن فرق الدتب الإلهية الغياهب * وأبرز من سبجف ألوهيته
نوراً أشرق على مرايا الكائنات * بحسب مزايا الاستعدادات * فاتضح من معالم العوالم المراتب * وصلاة وسلاماً
على أول درة أضاءت من الكثر المخفي في ظلمة عماء القدم * فأبصرتها عين الوجود * وعلة إيجاد كل درة برأتها يد الحكيم
إذ تردت في هوة العدم * فعادت ترفل بأردية كرم وجوده * مهبط الوحي الشفاهي الذي ارتفع رأس الروح الأمين بالهبوط
إلى موطن أقدامه * ومعدن السر الإلهي * الذي انقطع فكر الملائكة الأعلى دون ذكر الوصول إلى أدنى مقامه * فهو النبي
الذي أبرزه مولاه من ظهور السكون إلى حواشي متون الظهور * ليكون شرحاً لكتاب صفاته وتقريراً * ورفع
بتخصيصه من بين العموم بمظهرية سره المستور * وأنزل عليه قرآناً عربياً غير ذي عوج ليكون للعالمين نذيراً
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

وعلى آله وأصحابه مطالع أنوار التنزيل * ومغارب أسرار التأويل * الذين دخلوا عكاز الحقائق بالوساطة
المحمدية * فما برحوا حتى ربحوا فباعوا نفوساً وشروا نفوساً * وقطعوا أسباب العلائق بالهمم الحقيقية * فما عرجوا
حتى عرجوا فلقوا عزيزاً وألقوا خسيساً * فهم النجوم المشرقة بنور الهدى * والرجوم المحرقة لشياطين الردى *
رضى الله عنهم وأرضاهم * ووالى متبعيهم وأولاهم * ما سرحت روح المعاني في رياض القرآن * وسبحت أشباح
المباني في حياض العرفان *

((اما بعد)) فيقول عيبة العيوب * وذنوب الذنوب * أفقر العباد إليه عز شأنه مدرس دار السلطنة العلية *
ومفتي بغداد المحمية * أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى عفى عنه * ان العلوم وان تباينت
أصولها * وغربت وشرقت فصولها * واختلفت أحوالها * وأنتمت وأنجذت أقوالها * وتنوعت أبوابها *
وأشامت وأعرت أصحابها * وتغايرت مسائلها * وأيمنت وأيسرت وسائلها * فهي بأسرها مهمة ومعرفتها
على العلات نعمة * إلا أن أعلاها قدراً * وأغلاها مهراً * وأسناها مبنى * وأسماها معنى * وأدقها فكراً *
وأرقها سرا * وأعرقها نسباً وأعرفها أبا * وأقومها قبلاً * وأقواها قبلاً * وأحلاها لساناً * وأجلاها ياناً *
وأوضحها سبيلاً * وأصحها دليلاً * وأفصحها نطقاً * وأمنحها رفقا العلوم الدينية * والفهوم الدنية * فهي
شمس ضحاها * وبدر دجاها * وخال وجنتها * ولعل شفقتها * ودعج عيونها * وغنج جفونها وحبب رضاها *
وتنهد كعابها * ورقة كلامها * ولين قوامها *

على نفسه فليكن من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم
فلا ينبغي لعاقل أن يستغرق النهار والليل * إلا في غوص بحارها * أو يستنهض الرجل والخيل * إلا في

سبر أغوارها أو يصرف نفائس الانفاس إلا في مهوراً أبكارها * أو ينفق بدر الاعمار إلا لتشوف بدر أسرارها
إذا كان هذا الدمع يجرى صباية على غير سلى فهو دمع مضيع

وإن من ذلك علم التفسير الباحث عما أراده الله سبحانه بكلامه المجيد * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * فهو الحبل المتين * والعروة الوثقى * والصراط المبين * والوزير الأقوى والأوقى،
وإني والله تعالى المنة هذه يطت عني للتائم * ونيطت على رأسي العائم * لم أزل متطلباً لاستكشاف سره المكتوم * مترقباً
لارتشاف رحيقه المختوم * طالما فرقت نومي لجمع شوارده * وفارقت قومي لو صال خرائده * فلورأيتني وأنا
أصافح بالجرين صفحات الكتاب من السهر، وأطالع - إن أعوز الشمع يوماً - على نور القمر * في كثير من ليالي
الشهر وأمثالي إذ ذاك يرفلون في مطارف اللهو * ويرقلون في ميادين الزهو * ويؤثرون مسرات الاشباح * على
لذات الارواح * ويهبون نفائس الاوقات * لنهب خسائس الشهوات * وأنا مع حداثة سني * وضيق عطني لا تغري
حالمهم ولا تغيرني أفعالهم * كأن لبني لباتي * ووصال سعدى سعادتي * حتى وقفت على كثير من حقائقه * ووفقت
لحل وفير من دقائقه * وثقبت - والثناء لله تعالى - من دره بقلم فكري درأ مثمنا * ولا بدع فأنا من فضل الله الشهاب
وأبو الثنا * وقبل أن يكمل سني عشرين جمعات أصدح به واصدع، وشرعت أدفع كثيراً من إشكالات الاشكال
وأدفع وأنجاهر بما ألهمنيه ربي بما لم أظفر به في كتاب من دقائق التفسير * وأعلق على ما أعلق مما لم تعلق به ظفر كل
ذي ذهن خطير * ولست أنا أول من من الله تعالى عليه بذلك * ولا آخر من سلك في هاتيك المسالك * فكمؤكم للزمان
ولد مثلي * وكم تفضل الفرد عز شأنه على كثير بأضعاف فضلي

ألا انما الايام أبناء واحد وهذي الليالي كلها اخوات

إلا ان رياض هذه الأعصار عراها إعصار * وحياض تيك الامصار اعتراها اعتصار * فصار العلم
بالعيوق والعلماء أعز من بيض الانوق * والفضل معلق بأجنحة النور * وميت حتى الادب لا يرجي له نشور
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولكن الملك المنان * أبقى من فضله الكثير قليلاً من ذوى العرفان * في هذه الازمان * دينهم اقتناص الشوارده
ودينهم اقتضاض أبكار الفوائد يروون فيروون * ويقدحون فيورون * لكل منهم مزية لا يستتر نورها *
ومرتبة لا ينتثر نورها * طالما اقتطفت من أزهارهم * راقبت من أنوارهم * ولم صدر منهم أودعت علمه صدرى *
وحبر فيهم أفيت في فوائده خبرى * ولم أزل مدة على هذه الحال * لأعاباً بما عبالى بما قيل أو يقال * كتاب الله
لى افضل مؤانس * وسميرى اذا احولكت ظلمة الخنادس *

نعم السمير كتاب الله ان له حلاوة هي أحلى من جنى الضرب

به فنون المعاني قد جمعن فما تفر من عجب الا إلى عجب

أمر ونهى وأمثال وموعظة وحكمة أودعت في أفصح الكتب

لطائف يجتليها كل ذى بصر وروضة يجتنيها كل ذى أدب

وكانت كثيراً ما تحدثني في القديم نفسي * ان أحبس في قفص التحرير ما اصطاده الذهن بشبكة الفكر أو اختطفه
باز الالهام في جو حدسي * فأتلعل تارة بتشويش البال (١) بضيق الحال * وأخرى بفرط الملل لسعة المجال *

(١) أنكر جماعة من اهل اللغة محي شوش، وقالوا الصواب ان يقال هو شته فهو مهوش لانه من الهوش وهو اختلاط

إلى ان رأيت في بعض ليالى الجمعة من رجب الأصم سنة الألف والمائتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم رؤية لأعدها أضغاث أحلام: ولا أحسبها خيالات أو هام * ان الله جل شأنه وعظم سلطانه * أمرنى بطى السموات والارض * ورتق فتقهما على الطول والعرض * فرفعت يدا إلى السماء وخفضت الاخرى إلى مستقر الماء * ثم انتهت من نومتي * وأنا مستعظم رؤيتي * فجعلت أقنص لها عن تعبير فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير * فرددت حينئذ على النفس تعلمها القديم * وشرعت مستعينا بالله تعالى العظيم * وكأنى ان شاء الله تعالى عن قريب عند إتمامه بعون عالم سرى ونجواى ، أنادى وأقول غير مبال بتشنيع جهول: هذا تأويل رؤياى ، وكان الشروع فى الليلة السادسة عشرة من شعبان المبارك من السنة المذكورة وهى السنة الرابعة والثلاثون من سنى عمرى جعلها الله تعالى بسنى لطفه معمورة وقد تشرف الذهن المشتب بتأليفه وأحكمت غرف مغانى المعانى بمحكم ترصيفه، زمن خلافة خليفة الله الاعظم، وظله المبسوط على خليقته فى العالم مجد نظام القواعد المحمدية، ومحدد جهات العدالة الاسلامية سورة الحمد الذى أظهره الرحمن فى صورة الملك لكسر سورة الكافرين، وآية السيف الذى عوده الفاطر الفتح والنصر وأيده بمرسلات الذاريات فى كل عصر فويل للمنافقين، من نازعات أرواحهم إذا عبس صمصام عزمه المتين، حضرة مولانا السلطان ابن السلطان سلطان الثقلين وخادم الحرمين المجدد الغازى محمود خان العدل بن السلطان عبد الحميد خان أيده الرحمن وأبد ملكه مادام الدوران آمين ، وبعد ان أبرمت جبل النية ونشرت مطوى الأمنية وعرا المخاض قريحة الاذهان وقرب ظهور طفل التفسير للعيان جعلت أفكر ما اسمه وبماذا أدعوه إذا وضعته أمه فلم يظهر لى اسم تهتسل له الضمائر وتبتش من سماعه الخواطر فعرضت الحال لى حضرة وزير الوزراء ونور حديقة البهاء ونور حديقة الوزراء آية الله التى لا تنسخها آية، ورب النهى الذى ليس له نهاية وصاحب الاخلاق التى ملك بها القلوب ومعدن الاذواق التى يكاد أن يعلم معها الغيوب؛ مولانا على رضا باشا الازال له الرضا غطاء وفراشا فسماه على الفور وبديهة ذهنه تغنى عن الغور ﴿روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى﴾ فياله اسم ما أسماه نسال الله تعالى أن يطابقه مسماه وأحمد الله تعالى حمداً غصاً، وأصلى وأسلم على نبيه النبى حتى يرضى . وقد آن وقت الشروع فى المقصود مقدما عليه عدة فوائد يليق أن تكتب بسواد العيون على صفحات الحدود فأقول ﴿الفائدة الاولى﴾ فى معنى التفسير والتأويل وبيان الحاجة الى هذا العلم وشرفه * أما معناها فال تفسير تفعيل من الفسر وهو لغة البيان والكشف والقول بأنه مقبول السفر فما لا يسفر له وجه، ويطلق التفسير على التعرية للانطلاق يقال فسرت الفرس اذا عريته لينطلق ولعله يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى بل كل تصاري ف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لمن أمعن النظر * ورسومه بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك كعرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضع ما بهم فى القرآن ونحو ذلك * والتأويل من الاول وهو الرجوع والقول بأنه من الايالة وهى السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه ليس بشئ * واختلف فى الفرق بين التفسير والتأويل فقال أبو عبيدة: هما بمعنى، وقال الراغب: التفسير أعم وأثر استعماله فى الالفاظ ومفرداتها فى الكتب الالهية وغيرها والتأويل فى المعانى والجل فى الكتب الالهية خاصة؛ وقال الماترىدى:

الشيء . واثبت الجوهري فقال التشويش التخليط ورهه صاحب القاموس . وقال ابن برى أنه من كلام المولدين ولا أصل له فى العربية . وقد اشتهر هذا اللفظ ووقع فى كلام الرمنشبرى وغيره من أهل المعانى كقولهم هذا الف و نشر مشوش . اهـ مصححه

الأدلة على منع التفسير بالرأى

التفسير القطع بأن مراد الله تعالى كذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، وقيل: التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراسة وقيل غير ذلك، وعندى أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الأقوال فيه ما سمعتها ولم تسمعها مخالفة للعرف اليوم إذ قد تعارف من غير نكير أن التأويل إشارة قدسية ومعارف سبجانية تنكشف من سجع العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك وإن كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة فلا أظنك في مرة من رده هذه الأقوال أو بوجه ما فلا أراك ترضى إلا أن في كل كشف إرجاعاً وفي كل إرجاع كشفاً فافهم، وأما بيان الحاجة إليه فلان فهم القرآن العظيم - المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط المستقيم - أمر عسير لا يهتدى إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير حتى إن الصحابة رضی الله تعالى عنهم على علو كعبهم في الفصاحة واستنارة بواطنهم بما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثير ما يرجعون إليه صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن أشياء لم يعرفوها عليها ولم تصل أفهامهم إليها بل ربما التبس عليهم الحال ففهموا غير ما أَرادَه الملك المتعال كما وقع لعدى بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود، ولا شك أن محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة (وأما بيان شرفه) فلان شرف العلم بشرف موضوعه وشرف معلومه وغايته وشدة الاحتياج إليه وهو حائز لجميعها، فإن موضوعه كلام الله تعالى وماذا عسى أن يقال فيه، ومعلومه مع أنه مراد الله تعالى الدال عليه كلامه جامع للعقائد الحققة والأحكام الشرعية وغيرها، وغايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والوصول إلى سعادة الدارين وشدة الاحتياج إليه ظاهرة بما تقدم بل هو رئيس جميع العلوم الدينية لكونها مأخوذة من الكتاب وهي تحتاج من حيث الثبوت أو من حيث الاعتداد إلى علم التفسير وهذا لا ينافي كون الكلام رئيسها أيضاً لان علم التفسير لتوقفه على ثبوت كونه تعالى متكلماً يحتاج إلى الكلام والكلام لتوقف جميع مسائله من حيث الثبوت أو الاعتداد على الكتاب يتوقف على التفسير فيكون كل منهما رئيساً للآخر من وجه على أن رياسة التفسير بناء على ذلك الشرف مما لا ينتطح فيه كبشان، وأما الآثار الدالة على شرفه فكثيرة، أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: (يُوقَى الْحِكْمَةَ) قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه وحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وأخرج أبو عبيدة عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما أراد بها، وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية لا أعرفها إلا أحزنتني لاني سمعت الله يقول: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) إلى غير ذلك.

(الفائدة الثانية) فيما يحتاجه التفسير ومعنى التفسير بالرأى - وحكم كلام السادة الصوفية في القرآن، فأما ما يحتاجه التفسير فأمر (الأول) علم اللغة لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها بحسب الوضع ولا يكفي اليسير إذ قد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر فمن لم يكن عالماً بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قاله مجاهد وينكل كما قاله مالك - وهذا مما لا شبهة فيه - نعم روى عن أحمد أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل بيت من الشعر فقال ما يعجبني - وهو ليس بنص في المنع عن بيان المدلول للغوى للعارف كما لا يخفى (الثاني) معرفة الأحكام التي للكلام العربية من جهة أفرادها وتركيبتها ويؤخذ ذلك من علم النحو، أخرج أبو عبيدة عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتبس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال: حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها - وفي قصة الأسود ما يغني عن الإطالة (الثالث) علم المعاني والبيان والبديع، ويعرف بالاول خواص ترايب الكلام من جهة إفادتها المعنى - وبالثاني خواصها من حيث اختلافها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهو الركن

الاقوم والالزام الاعظم في هذا الشأن كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان (الرابع) تعيين
 مبهم وتبيين مجمل وسبب نزول ونسخ ويؤخذ ذلك من علم الحديث (الخامس) معرفة الاجمال والتبيين والعموم
 والخصوص والاطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا وأخذوه من أصول الفقه (السادس) الكلام فيما
 يجوز على الله وما يجب له وما يستحيل عليه والنظر في النبوة ويؤخذ هذا من علم الكلام ولولاه يقع المفسر في
 ورطات (السابع) علم القراءات لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات ترجح بعض الوجوه
 المحتملة على بعض هذا - وعد السيوطي بما يحتاج اليه المفسر علم التصريف وعلم الاشتقاق - وأنا أظن أن
 المهارة ببعض ما ذكرنا يترتب عليهما ما يترتب عليهما من الثمرة وعد أيضا علم الفقه ولم يعده غيره ولكل
 وجهة - وعد علم الموهبة أيضا من ذلك - قال وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بالحديث
 «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم» ثم قال ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول هذا شيء ليس في قدرة
 الانسان تحصيله وليس كما ظننت والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد إلى
 آخر ما قاله ، وفيه ان علم الموهبة بعد تسليم انه كسبي إنما يحتاج اليه في الاطلاع على الاسرار لا في أصل
 فهم معاني القرآن كما يفهمه كلام البرهان وكثير من المفسرين يصدد الثاني والواقفون على الاسرار - وقليل ما هم -
 لا يستطيعون التعبير عن كثير مما أفوض عليهم فضلا عن تحريره وإقامة البرهان عليه على أن ذلك
 تأويل لا تفسير فلعل السيوطي أراد من عبارته معنى آخر يظهر لك بالتدبر فتدبر (وأما التفسير بالرأى)
 فالشائع المنع عنه واستدلال عليه بما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من قوله صلى الله عليه وسلم: «من
 تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» وفي رواية عن أبي داود «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده
 من النار» ولا دليل في ذلك أما أولا فلائن في صحة الحديث الأول مقالا قال في المدخل في صحته نظر
 وإن صح فانما أراد به - والله تعالى أعلم - فقد أخطأ الطريق إذ الطريق الرجوع في تفسير ألفاظه الى أهل
 اللغة وفي نحو الناسخ والمنسوخ إلى الاخبار وفي بيان المراد منه الى صاحب الشرع فان لم يجد هناك وهنا
 فلا بأس بالفكرة ليستدل بما ورد على ما لم يرد أو أراد من قال بالقرآن قولاً يوافق هواه بأن يجعل المذهب
 أصلاً والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأى وجه فقد أخطأ فإليه على ذلك سببية أو يقال ذلك في المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله
 أو في الجزم بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل ، وأما الحديث الثاني فله معنيان ، الأول من قال في مشكل القرآن
 بما لا يعلم فهو متعرض لسخط الله تعالى ، والثاني وصح من قال «في القرآن قولاً لا يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار»
 وأما ثانياً فلان الأدلة على جواز الرأي والاجتهاد في القرآن كثيرة وهى تعارض ما يشعر بالمنع فقد قال تعالى: (ولورده
 إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم) وقال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)
 وقال تعالى: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) وأخرج أبو نعيم وغيره من حديث
 ابن عباس «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه» وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس
 بقوله «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه سئل هل خصكم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بشيء؟ فقال ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل في كتابه إلى غير ذلك مما لا يحصى
 كثرة ، والعجب كل العجب بما يزعم أن علم التفسير مضطر الى النقل في فهم معاني التراكيب ولم ينظر الى اختلاف التفاسير
 وتنوعها ولم يعلم أن ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك كالكبريت الاحمر فالذي ينبغي أن يعول عليه أن من كان

متبحراً في علم اللسان مترقياً منه إلى ذوق العرفان وله في رياض العلوم الدينية أوفى مرتبة، وفي حياضها أصنى مكرع يدرك
 اعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن إقليد فذاك يجوز له أن يرتقى
 من علم التفسير ذروته ويمتطى منه صهوته، وأما من صرف عمره بوساوس أرسطاطاليس واختار شوك القنافة على
 ريش الطواويس فهو بمعزل عن فهم غوامض الكتاب وإدراك ما تضمنه من العجب العجيب، وأما كلام السادة
 الصوفية في القرآن فهو من باب الاشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر
 المرادة وذلك من كمال الايمان ومحض العرفان لأنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك
 اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية وحاشى سادتنا من ذلك كيف وقد حضوا على حفظ
 التفسير الظاهر وقالوا لا بد منه أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار
 القرآن قبل احكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب وما يؤيد أن للقرآن ظاهراً
 وباطناً ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطن،
 لا تنقض عجائبه، ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى أخبار وأمثال وحلال وحرام
 وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهور وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء وقال
 ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليتل القرآن، ومن المعلوم أن هذا لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وقد
 قال بعض من يوثق به لكل آية ستون ألف فهم، وروى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل
 آية ظهر وبطن ولكل حرف حدو لكل حد مطلع» قال ابن النقيب أن ظاهرهما مظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر
 وباطنها ما تضمنته من الاسرار التي أطلع الله تعالى عليها أرباب الحقائق، ومعنى قوله ولكل حرف حد أن لكل
 حرف منتهى فيما أراد الله تعالى من معناه ومعنى قوله: ولكل حد مطلع أن لكل غامض من المعاني والاحكام مطالعاً يتوصل
 به إلى معرفته ويوقف عن المراد به، وقيل في رواية لكل آية ظهر وبطن وحدو مطلع والمذكور بوساطة الالفاظ وتأليفاتها
 وضعا وإفادة وجعلها طرقاً إلى استنباط الاحكام الخمسة هو الظهور وروح الالفاظ أعنى الكلام المعتلى عن المدارك الآلية
 بجواهر الروح القدسية هو البطن واليه الإشارة بقول الامير السابق. والحد إما بين الظهور والبطن يرتقى منه اليه وهو
 المدرك بالجمعية من الجمعية وإما بين البطن والمطلع فالمطلع مكان الاطلاع من الكلام النفسى إلى الاسم المتكلم المشار اليه
 بقول الصادق لقد تجلى الله تعالى في كتابه لعباده ولكن لا يبصرون، والحد بينهما يرتقى به من البطن اليه عند ادراك
 الرابطة بين الصفة والاسم واستهلاك صفة العبد تحت تجليات أنوار صفة المتكلم تعالى شأنه، وقيل الظهر التفسير والبطن
 التأويل والحد ما تنهاى اليه الفهوم من معنى الكلام والمطلع ما يصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام انتهى *

فلا ينبغي لمن له أدنى مسكة من عقل بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتغال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض
 على بواطن من شاء من عباده وبأليت شعري ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى (وتفصيلاً لكل شيء)، وقوله تعالى
 (ما فرطنا في الكتاب من شيء)؟ والله تعالى العجب كيف يقول باحتمال ديوان المتنبى وأبياته المعاني الكثيرة ولا يقول
 باشتغال القرآن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآياته وهو كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين على ما شاء الله
 تعالى من المعاني المحتجبة وراء سرادقات تلك المباني (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل مامن حادثة ترسم بقلم القضاء
 في لوح الزمان إلا وفي القرآن العظيم إشارة إليها فهو المشتغل على خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت *

وقد ذكر ابن خلكان في تاريخه أن السلطان صلاح الدين لما فتح مدينة حلب أنشد القاضي محي الدين قصيدة بائية

أجاد فيها كل الاجادة وكان من جملتها

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال فستل القاضي من أين لك هذا فقال أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى: (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) قال المؤرخ: فلم أزل أطلب التفسير المذكور حتى وجدته على هذه الصورة وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراجها وله نظائر كثيرة، ومن المشهور استنباط ابن الكمال فتح مصر على يد السلطان سليم من قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) فالانصاف كل الانصاف التسليم للسادة الصوفية الذين هم مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه واتهام ذهك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق والعلائق اليه

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالابصار

وسياتي تمة لهذا البحث ان شاء الله تعالى والله الهادي إلى سواء السبيل ((الفائدة الثالثة)) اعلم ان لكتاب الله تعالى أسماء أنها شديدة في البرهان إلى خمسة وخمسين اسماً وذكر السيوطي بعد عدها في الاتقان وجوه تسميته بها ولم يذكر غير ذلك وعندى أنها كلها ترجع بعد التأمل الصادق إلى القرآن والفرقان رجوع أسماء الله تعالى إلى صفتي الجمال والجلال فهما الأصل فيها، وقد اختلف الناس في تحقيق لفظ القرآن، فالمروي عن الشافعي وبه قال جماعة أنه اسم علم غير مشتق خاص بهذا الكلام المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم وهو معرفاً غير مهموز عنده كما حكاه عنه البيهقي والخطيب وغيرهما، والمنقول عن الأشعري وأقوام أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته اليه وسمى به عندهم لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض، وقال الفراء هو مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً ويشبه بعضها بعضاً وهو على هذين القولين بلا همز أيضاً ونونه أصلية، وقال الزجاج هذا القول غلط والصواب أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركتها إلى ما قبلها فهو عنده وصف مهموز على فعلا من مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض إذا جمعته وسمى به لأنه جمع السور كما قال أبو عبيدة أو ثمرات الكتب السالفة كما قال الراغب أولان القاري يظهره من فيه أخذاً من قولهم ما قرأت الناقة سلى قط (١) كما حكى عن قطرب وعند اللحياني وجماعة هو مصدر كالغفران سمي به المقروء تسمية المفعول بالمصدر، قال السيوطي: قلت والمختار عندي في هذه المسألة مانص عليه الشافعي رضي الله تعالى عنه انتهى - وأنا متبني من حولى - قول الزجاج أرق من وجه إذ الشائع فيه الهمز وبه قرأ السبعة ما عدا ابن كثير وقد وجه إسقاطها بما مر آنفاً ولم يوجه إثباتها وكان قول السيوطي محض تقليد لا مام مذهبه حيث لم يذكر الدليل ولم يوضح السبيل، وعندى أنه في الأصل وصف أو مصدر كما قال الزجاج واللحياني لكنه نقل وجعل علماً شخصياً كما ذهب إليه الشافعي ومحققو الأصوليين وعليه لا يعرف القرآن لأن التعريف لا يكون إلا للخاص الكلية ولعل من عرفه بالكلام المنزل للعجاز بسورة منه أراد تصوير مفهوم لفظ القرآن وكذا من قال كالغزالي أنه ما نقل بين دفتي المصحف تواتراً أراد تخصيص الاسم بأحد الأقسام الثلاثة مما نقل بين الدفتين ومما لم ينقل كالمنسوخ تلاوته نحو - إنا أنزلنا المال لأقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وما نقل ولم يتواتر نحو - ثلاثة أيام متتابعات - ليعلم أن ذلك هو الدليل وعليه الأحكام من نحو منع التلاوة والمس محدثاً ولا يفرد على الأول إن أريد التمييز أن كونه للعجاز ليس لازماً بيننا إذ لا يعرفه إلا الأفراد من العلماء فضلاً

عن أن يكون ذاتياً فكيف يصح لتعريف الحقيقة وتمييزها وهو إنما يكون بالذاتيات أو باللوازم البينة ، وأيضاً أن معرفة السورة منه متوقفة على معرفته فيدور . ويرد على الثاني مثل ثاني ماورد على الأول اذ معرفة المصحف موقوفة على معرفة القرآن إذ ليس هو إلا ما كتب فيه القرآن فأخذه في تعريفه دوراً أيضاً ، هذا وقد قال ساداتنا الصوفية أفاض الله تعالى علينا من فتوحاتهم القدسية : أن القرآن إشارة إلى الذات التي يضمحل بها جميع الصفات فهي المجلى المسمى بالاحدية أنزلها الحق تعالى شأنه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون مشهداً لاحدية من الأكوان ، ومعنى هذا الانزال أن الحقيقة الاحدية المتعالية في ذراها ظهرت فيه صلى الله عليه وسلم بكاملها وما ادخر عنه شيء بل أفيض عليه الكل كرماً إلهياً ذاتياً ووصف القرآن في بعض الآيات بالكريم لذلك إذ أي كرم يضاهي هذا الكرم ، وأنى تقاس هذه النعمة بسائر النعم ، وأما القرآن الحكيم فهو الهوية الحقائق الإلهية يعرج العبد بالتحقق بها في الذات شيئاً فشيئاً على ما اقتضته الحكمة وإلى ذلك أشار الحق تعالى بقوله : (ورتلناه ترتيلاً) وهذا الحكم لا ينقطع أبداً إذ لا يزال العبد في ترقق والحق في تجل فسيحان من لا تقيدته الأكوان وهو كل يوم في شأن ، وأما القرآن العظيم في قوله تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) فهو إشارة إلى الجملة الذاتية لا باعتبار النزول ولا باعتبار المكانة بل مطلق الاحدية الذاتية التي هي في مطلق الهوية الجامعة لجميع المراتب والصفات والشئون والاعتبارات ولهذا قرن بالعظيم ، وأما السبع المثاني فهو ما ظهر عليه في وجوده من التحقق بالصفات السبع ، وأما قوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) فهو إشارة إلى أن العبد إذا تجلى عليه الرحمن وجد لذة رحمانية تكسبه معرفة قرآنية فلا يعلم الحق إلا من طريق أسمائه وصفاته ، وأما الفرقان عندهم فإشارة إلى حقيقة الآسماء والصفات على اختلاف تنوعاتها فباعتباراتها تتميز كل صفة واسم من غيرها فحصل الفرق في نفس الحق من حيث اسماءه وصفاته فإن اسمه المنعم غير اسمه المنتقم وصفة الرضا غير صفة الغضب واليه الإشارة بقوله : « سبقت رحمتي غضبي » وهي متفاوتة المراتب في الفضل نظراً إلى أعيانها لا باعتبار أن في شيء منها نقصاً أو مفوضية ولهذا حكمت بعضها على بعض كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم : « أعوذ بمعافائك من عقوبتك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك » فكانت المعافاة أفضل من العقوبة والرضا أفضل من السخط فأعاده بالفاضل مما يليه ، وكذا أعاده بذاته من ذاته فكما أن الفرق حاصل في الأفعال كذلك في الصفات بل في نفس واحدة الذات التي لا فرق فيها لكن من غريب شؤنها جمعها النقيضين . قال أبو سعيد : عرفت الله تعالى بجمعه بين الضدين ، ولكونه صلى الله عليه وسلم مظهراً للقرآن والفرقان كان خاتم النبيين ، وإمام المرسلين . لأنه ما ترك شيئاً يحتاج إليه إلا وقد جاء به فلا يجد الذي يأتي بعده من الكمال شيئاً مما ينبغي أن ينبت عليه . قال تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) . وقال تعالى : (وكل شيء فصلناه تفصيلاً) . إلى غير ذلك من الآيات . (وقد يقال) القرآن والفرقان إشارتان إلى مقام الجمع والفرق بأقسامهما . قالوا ولا بد للعبد الكامل منهما . فإن من لا تفرقة له لا عبودية له . ومن لا جمع له لا معرفة له . والجمع عندهم شهود الأشياء بالله تعالى . والتبري من الحول والقوة إلا بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله تعالى وهو المرتبة الاحدية ، والفرق أنواع ، فرق أول وهو الاحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء رسوم الخليفة بحالها ، وفرق ثان وهو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير احتجاب إحداهما عن الأخرى ، وفرق الوصف وهو ظهور الذات الاحدية بأوصافها في الحضرة الواحدة ، وفرق الجمع وهو تكثر الواحد بظهوره في المراتب

التي هي ظهور شئون الذات الاحدية وتلك الشئون في الحقيقة اعتبارات محضة لا تحقق لها إلا عند بروز الواحد بصورها وكثيراً ما يطلقون القرآن على العلم الدنى الاجمالى الجامع للحقائق كلها والفرقان على العلم التفصيلى الفارق بين الحق والباطل وكتاب الله تعالى جامع لذلك كله كما لا يخفى على أهله، وذكر الشيخ الاكبر قدس سره أن القرآن يتضمن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن لأن تفاصيل المراتب والاسماء المقتضية لها موجودة في الجمع والجمع لا يوجد في التفاصيل ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فليفهم . ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويزيل بعلمه جهلنا إنه على ما يشاء قدير ﴿ الفائدة الرابعة ﴾ في تحقيق معنى أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ﴿ اعلم ﴾ أن هذه المسألة من أمهات المسائل الدينية والمباحث الكلامية كم زلت فيها أقدام وضلت عن الحق بها أقوام وهى وإن كانت مشروحة في كتب المتقدمين مبسوبة في زبر المتأخرين لكنى بحول من عز حوله وفضل من غمرنا فضله أوردتها في هذا الكتاب ليتذكر أولو الآليات بأسلوب عجيب وتحقيق غريب لا أظنك شفت سمعك بمثل لآليه، ولا نورت بصرك بشبه بدر لآليه، فامولاه كهدى ومرعى ولا كالسعدان وما كل زهر ينبت الروض طيب ولا كل كحل للنواظر أتمد

﴿ فأقول ﴾ إن الانسان له كلام بمعنى التكلم الذى هو مصدر وكلام بمعنى المتكلم به الذى هو الحاصل بالمصدر . ولفظ الكلام موضوع لغة للثانى قليلا كان أو كثيراً حقيقة كان أو حكماً . وقد يستعمل استعمال المصدر كما ذكره الرضى وكل من المعنيين إما لفظى أو نفسى ﴿ فالأول ﴾ من اللفظى فعل الانسان باللسان وما يساعده من الخارج ﴿ والثانى ﴾ منه كيفية فى الصوت المحسوس ﴿ والأول ﴾ من النفسى فعل قلب الانسان ونفسه الذى لم يبرز إلى الجوارح ﴿ والثانى ﴾ كيفية فى النفس إذ لا صوت محسوس عادة فيها وإنما هو صوت معنوى تخيل . أما الكلام اللفظى بمعنييه فمحل وفاق . وأما النفس فعنائه الاول تكلم الانسان بكلمات ذهنية وألفاظ مخيلة يرتبها فى الذهن على وجه إذا تلفظ بها بصوت محسوس كانت عين كلماته اللفظية ، ومعناه الثانى هو هذه الكلمات الذهنية والألفاظ المخيلة المرتبة ترتيباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتيب الخارجى . والدليل على أن للنفس كلاماً بالمعنيين الكتاب والسنة فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أتم شر مكاناً ﴾ فان (قال) بدل من (أسر) أو استئناف بيانى كأنه قيل فإذا قال فى نفسه فى ذلك الاسرار فقول: ﴿ قال أتم شر مكاناً ﴾ . وعلى التقديرين فالآية دالة على أن للنفس كلاماً بالمعنى المصدرى وقولاً بالمعنى الحاصل بالمصدر وذلك من أسر والجملة بعدها وقوله تعالى: ﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ﴾ وفسر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السر بما أسره ابن آدم فى نفسه . وقوله تعالى: ﴿ واذكر ربك فى نفسك ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا ﴾ أى يقولون فى أنفسهم كما هو الاسرع انسياقاً الى الذهن ، والآيات فى ذلك كثيرة . ومن الأحاديث ما رواه الطبرانى عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سأله رجل فقال: « إني لأحدث نفسى بالشئ لو تكلمت به لا حبطت أجرى فقال لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن » فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الشئ المحدث به كلاماً مع أنه كلمات ذهنية . والاصل فى الاطلاق الحقيقة ولا صارف عنها . وقوله تعالى فى الحديث القدسى « أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه إذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » الحديث . وفيه دليل على أن للعبد كلاماً نفسياً بالمعنيين ، ولرب أيضاً كلاماً نفسياً كذلك ولكن أين التراب من رب الارباب »

﴿فالمعنى الاول﴾ للحق تعالى شأنه صفة أزلية منافية للآفة الباطنية التي هي بمنزلة الخرس في التكلم الانساني اللفظي ليس من جنس الحروف والالفاظ أصلا وهي واحدة بالذات تتعدد تعلقاتها بحسب تعدد المتكلم به، وحاصل الحديث من تعلق تكلمه بذكر اسمي تعلق تكلمى بذكر اسمه، والتعلق من الأمور النفسية التي لا يضر تجددتها، وحدوث المتعلق إنما يلزم في التعلق التنجيزي ولا تنكره، وأما التعلق المعنوي التقديرى ومتعلقه فأزليان، ومنه ينكشف وجه صحة نسبة السكوت عن أشياء رحمة غير نسيان كما في الحديث إذ معناه أن تكلمه الأزلى لم يتعلق ببيانها مع تحقق اتصافه أزلا بالتكلم النفسى، وعدم هذا التعلق الخاص لا يستدعى انتفاء الكلام الأزلى كما لا يخفى.

﴿والمعنى الثانى﴾ له تعالى شأنه كلمات غيبية وهي ألفاظ حكيمية مجردة عن المواد مطلقا نفسية كانت أو خيالية أو روحانية، وتلك الكلمات أزلية مترتبة من غير تعاقب في الوضع الغيبى العلى لافى الزمان إذلا زمان، والتعاقب بين الأشياء من توابع كونها زمانية ويقرب به من بعض الوجوه وقوع البصر على سطور الصفحة المشتملة على كلمات مرتبة في الوضع الكتابى دفعة ففى مع كونها مترتبة لا تعاقب في ظهورها لجميع معلومات الله الذى هو نور السموات والارض مكشوفة له أزلا كما هي مكشوفة له فيما لا يزال ثم تلك الكلمات الغيبية المترتبة ترتبا وضعيا أزليا يقدر بينها التعاقب فيما لا يزال، والقرآن كلام الله تعالى المنزل بهذا المعنى فهو كلمات غيبية مجردة عن المواد مترتبة فى علمه أزلا غير متعاقبة تحقيقا بل تقديرا عند تلاوة الألسنة السكونية الزمانية، ومعنى تنزيلها إظهار صورها فى المواد الروحانية والخيالية والحسية من الالفاظ المسموعة والذهنية والمكتوبة، ومن هنا قال السنيون: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروء بالأسن مسموع بالأذان غير حال فى شئ منها وهو فى جميع هذه المراتب قرآن حقيقة شرعية معلوم من الدين بالضرورة، فقولهم غير حال إشارة إلى مرتبة النفسية الأزلية فإنه من الشئون الذاتية ولم تفارق الذات ولا تفارقها أبداً ولكن الله تعالى أظهر صورها فى الخيال والحس فصارت كلمات مخيلة وملفوظة مسموعة ومكتوبة مرئية فظهر فى تلك المظاهر من غير حلول إذ هو فرع الانفصال وليس فليس، فالقرآن كلامه تعالى غير مخلوق وإن تنزل فى هذه المراتب الحادثة ولم يخرج عن كونه منسوباً إليه (أما) فى مرتبة الخيال فلقوله ﷺ: «أغنى الناس حملة القرآن من جعله الله تعالى فى جوفه» وأما فى مرتبة اللفظ فلقوله تعالى: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) وأما فى مرتبة الكتابة فلقوله تعالى: (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وقول الامام أحمد: لم يزل الله متكلماً كيف شاء وإذا شاء بلا كيف إشارة إلى مرتبتين، فالأول إلى كلامه فى مرتبة التجلى والتنزل الى مظهر له كقوله ﷺ: «إذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان» الحديث، والثانى الى مرتبة الكلام النفسى إذ كيف من توابع مراتب التنزلات والكلام النفسى فى مرتبة الذات مجرد عن المادة فارتفع الكيف بارتفاعها ﴿فالحاصل﴾ لم يزل الله تعالى متكلماً وموصوفاً بالكلام من حيث تجلى ومن حيث لا، فمن حيث تجليه فى مظهر لكلامه كيف وإذا شاء لم يتكلم بما اقتضاه مظهر تجليه فيكون متكلماً بلا كيف كما كان ولم يزل، والاشعرى اذا حققت الحال وجدته قائلاً بأن الله تعالى كلاماً بمعنى التكلم وكلاماً بمعنى المتكلم به وأنه بالمعنى الثانى لم يزل متصفاً بكونه أمراً ونهياً وخبراً فانها أقسام المتكلم به وأن الكلام النفسى بالمعنى الثانى حروفه غير عارضة للصوت فى الحق والخلق غير أنها فى الحق كلمات غيبية مجردة عن المواد أصلا إذ كان الله تعالى ولم يكن شئ غيره، وفى الخلق كلمات مخيلة ذهنية فهى فى مادة خيالية، فكلمات الكلام النفسى فى جنبه تعالى كلمات حقيقية لكنها ألفاظ حكيمية ولا يشترط اللفظ الحقيقى فى كون الكلمة حقيقية إذ قد أطلق الفاروق الكلمة على أجزاء مقالته

المخيلة في خبر يوم السقيفة (١) والاصل في الاطلاق الحقيقة، فالأجزاء كلمات حقيقية لغوية مع أنها ليست ألفاظا كذلك إذ ليست حروفها عارضة لصوت واللفظ الحقيقي ما كانت حروفه عارضة وهو لكونه صورة اللفظ النفسي الحكيم دال عليه وهو دال في النفس على معناه بلا شبهة ولا انفكاك فيصدق على اللفظ النفسي بمعناه أنه مدلول اللفظ الحقيقي ومعناه، فتفسير المعنى النفسي المشهور عن الأشعرى بمدلول اللفظ وحده كما نقله صاحب المواقف عن الجمهور لا ينافي تفسيره بمجموع اللفظ والمعنى كما فسره هو أيضا وذلك بأن يحمل اللفظ في قوله على النفس وفي قول الجمهور على الحقيقي، ولا شك حيثئذ أن مجموع النفسي ومعناه من حيث المجموع يصدق عليه أنه مدلول اللفظ الحقيقي وحده لأن اللفظ الحقيقي لكونه صورة النفس في مرتبة تنزله دال عليه، ويدل على أن المراد المجموع قول إمام الحرمين في الارشاد: ذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس وهو القول أي المقول الذي يدور في الخلد وهو اللفظ النفسي الدال على معناه بلا انفكاك - نعم عبارة صاحب المواقف غير واضحة في المقصود وله مقالة مفردة في ذلك ومحصولها كما قال السيد قدس سره أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الأمر القائم بالغير فالشيخ لما قال الكلام النفسي هو المعنى النفسي فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده، وأما العبارات فانما تسمى كلاما مجازا لدلالته على ما هو كلام حقيقي حتى صرحوا بأن الألفاظ خاصة حادثة على مذهبه أيضا لكنها ليست كلامه حقيقة، وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم كفر من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة، وكعدم المعارضة والتحدى بكلام الله الحقيقي، وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الأحكام الدينية، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني فيكون الكلام النفسي عنده أمراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً قائماً بذات الله تعالى وهو مكتوب في المصاحف مقروء بالأسن محفوظ في الصدور وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ والحادث (وما يقال) من أن الحروف والألفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتيب إنما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة، فالتلفظ حادث والأدلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثه دون حدوث الملفوظ جميعاً بين الأدلة وهذا الذي ذكرناه وإن كان مخالفاً لما عليه متأخرو أصحابنا إلا أنه بعد التأمل يعرف حقيقته انتهى (واعترضه) الدواني بوجوه قال (أما أولاً) فلان مذهب الشيخ أن كلامه تعالى واحد وليس بأمر ولا نهى ولا خبر وإنما يصير أحدهم لا أمور بحسب التعلق وهذه الأوصاف لا تنطبق على الكلام اللفظي وإنما يصح تطبيقه على المعنى المقابل للفظ بضرب من التكلف (وأما ثانياً) فلان كون الحروف والألفاظ قائمة بذاته تعالى من غير ترتيب يفرض إلى كون الأصوات مع كونها أعراضاً سيالة موجودة بوجود لا تكون فيه سيالة وهو سفسطة من قبيل أن يقال الحركة توجد في بعض الموضوعات من غير ترتيب وتعاقب بين أجزائها (وأما ثالثاً) فلا أنه يؤدي إلى أن يكون الفرق بين ما يقوم بالقارى من الألفاظ وبين ما يقوم بذاته تعالى باجتماع الأجزاء وعدم اجتماعها بسبب قصور الآلة (فنقول) هذا الفرق إن أوجب اختلاف الحقيقة فلا يكون القائم بذاته من جنس الألفاظ وإن لم يوجب وكان ما يقوم بالقارى وما يقوم بذاته تعالى حقيقة واحدة والتفاوت بينهما إنما يكون باجتماعه

(١) حيث قال فلما سكت أي خطيب الانصار: أردت أن اتكلم ولست زورت في نفسي مقالاً أعجبتني أريد أن أقدم بين يدي أي بكر - إلى أن قال - فكان هو أعلم مني وأوفر والله ما ترك مني كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديةته مثلاً أو أفضل منها - الآخر بطوله أم منه

وعدمه اللذين هما من عوارض الحقيقة الواحدة كان بعض صفاته الحقيقية بجانبها لصفات المخلوقات *
 ﴿وأما رابعا﴾ فلان لزوم ما ذكره من المفاسد وهم، فان تكفير من أنكر كون ما بين الدفتين كلام الله تعالى إنما هو إذا اعتقد أنه من مخترعات البشر أما إذا اعتقد أنه ليس كلام الله بمعنى أنه ليس بالحقيقة صفة قائمة بذاته بل هو دال على الصفة القائمة بذاته لا يجوز تكفيره أصلا كيف وهو مذهب أكثر الاشاعرة ما خلا المصنف وموافقيه . وما علم من الدين من كون ما بين الدفتين كلام الله تعالى حقيقة إنما هو بمعنى كونه دالا على ما هو كلام الله تعالى حقيقة لا على أنه صفة قائمة بذاته تعالى وكيف يدعى أنه من ضروريات الدين مع أنه خلاف مانقله عن الاصحاب . وكيف يزعم أن هذا الجمل الغفير من الاشاعرة أنكروا ما هو من ضروريات الدين حتى يلزم تكفيرهم حاشاهم عن ذلك ﴿وأما خامسا﴾ فلان الأدلة الدالة على النسخ لا يمكن حملها على التلفظ بل ترجع الى الملفوظ كيف وبعضها مما لا يتعلق بالنسخ بالتلفظ به كما نسخ حكمه وبقي تلاوته انتهى ﴿والجواب﴾ أما عن الاول فهو أن الحق عز اسمه له كلام بمعنى المتكلم وكلام بمعنى المتكلم به . وما هو أمر واحد ، المعنى الاول وهو صفة واحدة تعدد تعلقاتها بحسب تعدد المتكلم به من الكتب والكلمات وأنها ليست من جنس الحروف والالفاظ أصلا لا الحقيقية ولا الحكمية وما ذكر في الاعتراض ينطبق عليه بلا كلفة ﴿والدليل﴾ على أن المنعوت بهذه الاوصاف عند الشيخ هو المعنى الاول ، نقل الامام أن الكلام الازلي لم يزل متصفا بكونه أمرا أنها خبراً ولا شك أن هذه أقسام المتكلم به وكل من كان قائلاً بانقسام الثاني كان المنعوت بالوحدة ذاتاً والتعدد تعلقاً المعنى الاول عنده جمعا بين الكلامين ﴿وأما﴾ عن الثاني فهو أن ذلك إنما يلزم إذا أريد من اللفظ الحقيقي؛ وأما إذا أريد النفسى الحكيم فلا ورود له لان الالفاظ النفسية كلها مجتمعة الاجزاء في الوجود العلى مع كونها مترتبة كما ذكره هو نفسه وكلام صاحب المواقف محتمل للتأويل كما تقدم فليحمل عليه سعيًا بالاصلاح مهما أمكن ﴿وأما﴾ الثالث فهو أن الايراد مبنى على ظن أن المراد باللفظ الحقيقى مع أنه محتمل لان يراد النفسى كما يقتضيه ظاهر تشبيهه بالقائم بنفس الحافظ . ﴿وأما﴾ الرابع فهو أن الكلام النفسى عند أهل الحق هو مجموع اللفظ النفسى والمعنى ، ولكن ظاهر كلام صاحب المواقف يدل على أنه فهم من ظاهر كلام بعض الاصحاب أن مرادهم بالمعنى هو المقابل للفظ مجرداً عن اللفظ مطلقاً وقد سمعهم يقولون إن الكلام اللفظى ليس كلامه تعالى حقيقة بل مجازاً ، فاذا انضم قولهم بنى كونه كلاماً حقيقة شرعية إلى قولهم في ظنه أن النفسى هو المعنى المقابل للفظ لزم من هذا ما هو في معنى القول بكون اللفظ من مخترعات البشر ولا يخفى استلزامه للمفاسد ولكن لم يريدوا بالمجاز الشرعى فان إطلاق كلام الله تعالى المسموع متواتر فلا يتأتى نفيه لاحد بل المراد أن الكلام إنما يتبادر منه ما هو وصف للمتكلم وقائم به قياماً يقتضيه حقيقة الكلام وذات المتكلم في الحق والخلق على الوجه اللائق بكل - وأما ما يتلى فهو حروف عارضة للصوت الحادث ولا شك أنه ليس قائماً بذاته سبحانه من حيث هو بل هو صورة من صور كلامه القديم القائم به تعالى ومظهر من مظاهر تنزلاته فهو دال على الحقيقى القائم فسمى كلاماً حقيقة شرعية لذلك وفيه إطلاق لاسم الحقيقة على الصورة فيكون مجازاً من هذا الوجه وإلى هذا يشير كلام التفتازانى فلا يلزم شيء من المفاسد واعتراض صاحب المواقف مبنى على ظنه ﴿وأما الخامس﴾ فهو أن كلام صاحب المواقف ليس نصافى أن الضمير راجع الى التلفظ بل يحتمل أن يكون راجعاً الى الملفوظ وذلك أنه قال المعنى الذى

في النفس لا ترتب فيه كما هو قائم بنفس الحافظ ولا ترتب فيه وقد مر أن المراد به مجموع اللفظ النفسي والمعنى كما يقتضيه ظاهر التشبيه بالقائم بنفس الحافظ ولا شك أنه لا ترتب فيه أى لا تعاقب فيه في الوجود العلى وحينئذ فقولهم نعم الترتب إنما يحصل في التلفظ معناه أن الترتب في المعنى النفسى الذى هو مجموع اللفظ النفسى والمعنى إنما يحصل في التلفظ الخارجى لضرورة عدم مساعدة الآلة، فقوله : وهو الذى هو حادث أى الملفوظ بالتلفظ الخارجى الذى هو الصورة حادث لا اللفظ النفسى وتحمل الأدلة التى تدل على الحدوث على حدوثه أى الملفوظ بالتلفظ الخارجى وعلى هذا لا ورود للاعتراض أصلاً ((ومنهم)) من اعترض أيضاً بأنهم اشتركوا في المعجزة أن تكون فعل الله تعالى أو ما يقوم مقامه كالنزول فلا يكون القرآن اللفظى الذى هو معجزة قديماً صفة له تعالى ولا يخفى أن المعجزة هو القرآن في مرتبة تنزله إلى الالفاظ الحقيقية العربية فكونه لفظاً حقيقياً عربياً مجعول (١) بالنص فيكون معجزة بلا شبهة، والقديم على ما حقق هو القرآن اللفظى النفسى الذى هو مجموع اللفظ النفسى والمعنى، وهذا واضح لمن ساعدته العناية، وقد شنع على الشيخ الأشعرى في هذا المقام أقوام تشابهت قلوبهم - واتحدت أغراضهم - وإن اختلفت أساليبهم - وهما أنابجوله تعالى رادلاً اعتراضاتهم بعد نقلها غير هياب ولا وكل وإن اتسع علم أهلها فالبعوضة قد تدعى مقلدة الأسد - وفضل الله تعالى ليس مقصوراً على أحد * ((فأقول)) قال تليذهم ولا نألهما فالبعوضة قد تدعى مقلدة الأسد - وفضل الله تعالى ليس مقصوراً على أحد * معنى آخر يسمى النفسى باطل فانا إذا قلنا زيد قائم فهناك أربعة أشياء (الاول) العبارة الصادرة عنه (والثاني) مدلول هذه العبارة وما وضع له هذه الالفاظ من المعانى المقصودة بها (الثالث) علمه بثبوت تلك النسبة وانتفاءها (الرابع) ثبوت تلك النسبة وانتفاؤها في الواقع، والاخير ان ليس كلاماً اتفاقاً، والاول لا يمكن أن يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم فبقى الثانى وكذا نقول في الأمر والنهى ههنا ثلاثة أمور (الاول) الإرادة والكرهية الحقيقية (الثاني) اللفظ الصادر عنه (الثالث) مفهوم لفظه ومعناه - والاول ليس كلاماً اتفاقاً - والثاني كذلك على مذهبهم فبقى الثالث وبه صرح أكثر محققهم وكونه كلاماً نفسياً ثابتاً لله تعالى شأنه محكوماً عليه بأحكام مختلفة باطل من وجوه (الاول) أنه مخالف للعرف واللغة فإن الكلام فيهما ليس الا المركب من الحروف (الثاني) أنه لا يوافق الشرع إذ قد ورد فيما لا يحصى كتاباً وسنة أن الله تعالى ينادى عباده ولا يرب أن النداء لا يكون إلا بصوت بل قد صرح به في الاخبار الصحيحة (٢) وباب المجاز وإن لم يغلق بعد إلا أن حمل ما يزيد على نحو مائة ألف من الصرائح على خلاف معناها مما لا يقبله العقل السليم (الثالث) أن ما قالوه من كون هذا المعنى النفسى واحداً يخالف العقل فإنه لا شك أن مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي - ومدلول الخبر يخاف مدلول الانشاء - بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر وكذا في الخبر - ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لا يمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السأوية فيلزم أن يكون كل واحد مشتملاً على ما اشتمل عليه الآخر وليس كذلك وكيف يكون معنى واحد خبر أو انشاء محتملاً للتصديق والتكذيب وغير محتمل وهو جمع بين النفي والاثبات انتهى *

((ولا يخفى)) أن مبنى جميع اعتراضاته على فهمه أن مرادهم بالمعنى النفسى هو مدلول اللفظ وحده أى المعنى المجرد عن مقارنة اللفظ. مطلقاً ولو حكماً وقد عرفت أنه ليس كذلك بل المراد به مجموع اللفظ النفسى والمعنى وهو الذى يدور

(١) قال تعالى : انا جعلناه قرآناً عربياً ه ه منه (٢) منها ما رواه البخارى عن أبى سعيد قال ﷺ « قال الله يا آدم فقل ل لسك، سيعبدك فنادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار، الحديث اه منه

في الخلد وتدل عليه العبارات كما صرح به إمام الحرمين - وعليه إذا قال القائل زيد قائم فهناك أربعة أشياء كما ذكر المعترض وشئ خامس تركه وهو المراد وهي هذه الجملة بشرط وجودها في الذهن بألفاظ مخيلة ذهنية دالة على معانيها في النفس وهذا يعنونه بالكلام النفسى فلا محذور (ونقول) على سبيل التفصيل (أما الأول) فجوابه أنه إن ماتم المخالفة إذا لم يكن عندهم مجموع اللفظ النفسى والمعنى فحيث كان لا مخالفة لان الكلام حينئذ مركب من الحروف إلا أنها نفسية غيبية في الحق - خيالية في الخلق (وأما الثانى) فجوابه أن هذا الذى لا يحصى ليس فيه سوى أن الحق سبحانه وتعالى متكلم بكلام حروفه عارضة للصوت لأنه لا يتكلم إلا به فلا ينتهض ما ذكر حجة على الشيخ بل إذا أمعنت النظر رأيت ذلك حجة له حيث بين أن الله تعالى لا يتكلم بالوحى لفظاً حقيقياً إلا على طبق ما فى علمه وكلما كان كذلك كان الكلام اللفظى صورة من صور الكلام النفسى ودليلاً من أدلة ثبوتها (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) *

((وأما الثالث)) فجوابه أن المنعوت بأنه واحد بالذات تتعدد تعلقاته هو الكلام بمعنى صفة المتكلم ووحده مما لا شك لعاقل فيها - وأما الكلام النفسى بمعنى المتكلم به فليس عنده واحد بل نص فى الإبانة على انقسامه إلى الخبر والامر والنهى فى الازل فلا اعتراض - وقال النجم سليمان الطوفى: إنما كان الكلام حقيقة فى العبارة مجازاً فى مدلولها لوجهين (أحدهما) أن المتبادر إلى فهم أهل اللغة من إطلاق الكلام إنما هو العبارة والمبادرة دليل الحقيقة (الثانى) أن الكلام مشتق من الكلم لتأثيره فى نفس السامع والمؤثر فيها إنما هو العبارات لا المعانى النفسية بالفعل - نعم هى مؤثرة للفائدة بالقوة، والعبارة مؤثرة بالفعل فكانت أولى بأن تكون حقيقة والآخرى مجازاً - وقال المخالفون: استعمل لغة فى النفسى والعبارة (قلنا) نعم لكن بالاشتراك أو بالحقيقة فيما ذكرناه وبالمجاز فيما ذكرتموه والأول ممنوع - قالوا الأصل فى الإطلاق الحقيقة قلنا والأصل عدم الاشتراك ثم أن لفظ الكلام أكثر ما يستعمل فى العبارات والكثرة دليل الحقيقة - وأما قوله تعالى: (يقولون فى أنفسهم) فمجاز دل على المعنى النفسى بقرينة (فى أنفسهم) ولو أطلق لمافهم إلا العبارة، وأما قوله تعالى: (وأمرنا قولكم) الآية فلا حجة فيه لأن الأسرار خلاف الجهر وكلاهما عبارة عن أن يكون أرفع صوتاً من الآخر - وأما بيت الأخطى فالمشهور أن البيان - وبقدير أن يكون الكلام فهو مجاز عن مادته وهو التصورات المصححة لاذن لم يتصور ما يقول لا يوجد كلاماً ثم هو مبالغة من هذا الشاعر بترجيح الفؤاد على اللسان انتهى وفيه ما لا يخفى *

أما أولاً فلا نـ ما ادعاه من التبادر إنما هو لكثرة استعماله فى اللفظى لمسيس الحاجة إليه لكونه الموضوع له خاصة بدليل استعماله لغة وعرفاً فى النفسى والأصل فى الإطلاق الحقيقة - وقوله والأصل عدم الاشتراك قلنا: نعم إن أردت به الاشتراك اللفظى ونحن لا ندعيه وإنما ندعى الاشتراك المعنوى وذلك أن الكلام فى اللغة ينقل النحويين ما يتكلم به قليلاً كان أو كثيراً حقيقة أو حكماً (وأما ثانياً) فلا نـ ما ادعاه من أن المؤثر فى نفس السامع إنما هو العبارات لا المعانى النفسية الأمر فيه بالعكس بدليل أن الإنسان إذا سمع كلاماً لا يفهم معناه لا تؤثر ألفاظه فى نفسه شيئاً وقد يتذكر الإنسان فى حالة سروره كلاماً يحزنه - وفى حالة حزنه كلاماً يسره فيتأثر بهما ولا صوت ولا حرف هناك وإنما هى حروف وكلمات مخيلة نفسية وهو الذى عناه الشيخ بالكلام النفسى وعلى هذا فالسامع فى قولهم - لتأثيره فى نفس السامع - ليس بقيد والتأثير فى النفس مطلقاً معتبر فى وجه التسمية (وأما ثالثاً) فلا نـ ما قاله فى قوله تعالى: (يقولون فى أنفسهم) من أنه مجاز دل على المعنى النفسى فيه بقرينة (فى أنفسهم) ولو أطلق لمافهم إلا العبارة يرده قوله تعالى (يقولون بأفواههم) وفى آية (بأسنتهم ما ليس فى قلوبهم) إذ لو كان مجرد ذكر (فى أنفسهم) قرينة على كون القول مجازاً فى النفسى لكان ذكر (بأفواههم) وبأسنتهم) قرينة على كونه مجازاً فى العبارة واللازم باطل فكذلك الملزوم - نعم التقييد دليل على

أن القول مشترك معنى بين النفسى واللفظى وعين به المراد من فريده فهو لنا لا علينا (وأما رابعا) فلأن ما ذكره في قوله تعالى: (وأسموا) الآية تحكم بحت لأن السر كما قال الزمخشري ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خالو يساعده الكتاب والآثر واللغة كما لا يخفى على المتتبع (وأما خامسا) فلأن ما ذكره في بيت الأخطل خطل من وجوه (أما أولا) فعلى تقدير أن يكون المشهور البيان بدل الكلام يكفينافي البيان لأنه (١) إما اسم مصدر بمعنى ما يبين به أو مصدر بمعنى التبيين وعلى الأول هو بمعنى الكلام ولا فرق بينهما إلا في اللفظ وعلى الثاني هو مستلزم للكلام النفسى بمعنى المتكلم به إن كان المراد به التبيين القلبي أعنى ترتيب القلب للكلمات الذهنية على وجه إذا عبر عنها باللسان فهم غير ما قصد منها (وأما ثانيا) فلأن قوله وبقتدير أن يكون الخ إقرار بالكلام النفسى من غير شعور * (وأما ثالثا) فلأن دعوى المجاز تحكم مع كون الاصل فى الاطلاق الحقيقة (وأما رابعا) فلأن دعوى أن ذلك مبالغة من هذا الشاعر خلاف الواقع بل هو تحقيق من غير مبالغة كما يفهم مما سلف، فما ذكره هذا الشاعر كلمة حكمة سواء نطق بها على بينة من الامر أو كانت منه رمية من غير رام فإن معناه موجود فى حديث أبى سعيد «العينان دليلان والاذنان قمعان واللسان ترجمان - الى أن قال - والقلب ملك فاذا صلح» الحديث وفى حديث أبى هريرة «القلب ملك وله جنود - الى أن قال - واللسان ترجمان» الحديث فما قيل (٢) ان هذا الشاعر نصرانى عدو الله تعالى ورسوله فيجب اطراح كلام الله تعالى ورسوله تصحيحا لكلامه وأحملة على المجاز صيانة لكلمة هذا الشاعر عنه، وأيضا يحتاجون إلى إثبات هذا الشعر والشهرة غير كافية فقد قش ابن الخشاب ودواوين الأخطل العتيقة فلم يجد فيها البيت انتهى كلام أو هن وأوهى من بيت العنكبوت وأنه لا وهن البيوت (أما أولا) فلأن كلام هذا العدو موافق لكلام الحبيب حتى لكلام المنكرين للكلام النفسى حيث اعترفوا به فى عين إنكارهم (وأما ثانيا) فلأننا أغنانا الله تعالى ورسوله من فضله عن إثبات هذا الشعر (وأما ثالثا) فلأن عدم وجدان ابن الخشاب لا يدل على انتفائه بالكلية كما لا يخفى، والحاصل أن الناس أكثروا القول والقيال فى حق هذا الشيخ الجليل وكل ذلك من باب وكمن عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

نعم البحث دقيق لا يرشد اليه إلا التوفيق لم أسهر أناسا وأكثر وسواسا وأثار فتنة وأورث محنة وسجن أقواما وأم إماما

مرام شط مرمى العقل فيه ودون مداه ييد لا تبيد

ولكن بفضل الله تعالى قد أتينا فيه بلب الباب، وخلاصة ما ذكره الاصحاب، وقد اندفع به كثير مما أشكل على الاقوام، وخفى على أفهام ذوى الافهام، ولا حاجة معه إلى ما قاله المولى المرحوم غنى زاده فى التخلص عن هاتيك الشبه بمانصه، ثم أعلم أنى بعد ما حررت البحث بعنى فرط الانصاف إلى أنه لا ينبغي لذى الفطرة السليمة أن يدعى قدم اللفظ لاحتياجه الى هذه التكلفات وكذا كون الكلام عبارة عن المعنى القديم لركاكة توصيف الذات به كيف ومعنى قصة نوح مثلا ليس بشئ يمكن اتصاف الذات به إلا بتمحل بعيد، فالحق الذى لا محيد عنه هو ان المعانى كلها موجودة فى العلم الازلى بوجود على قديم لكن لما كان فى ماهية بعض ادعاء البروز فى الخارج بوجود لفظى حادث حسبما يستدعيه حدوث الحوادث فيما لا يزال اقضى الذات اقتضاء أزليا إراز ذلك البعض فى الخارج بذلك الوجود الحادث فيما لا يزال فهذا الاقتضاء صفة قديمة للذات هو بهافى الازل مسماة بالكلام

النفسي وأثره الذي هو ظهور المعنى القديم باللفظ الحادث إنما يكون فيما لا يزال والمغايرة بينه وبين صفة العلم ظاهرة وهذا هو غاية الغايات في هذا الباب ، والحمد لله على ما خصني بفهمه من بين أرباب الالباب انتهى *
وفيه أنه غاية الغايات في الجسارة على رب الأرباب وإحداث صفة قديمة ما أنزل الله تعالى بهامن كتاب إذ لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا روى عن صحابي ولا تابعي تسمية ذلك الاقتضاء كلاما بل لا يقتضيه عقل ولا نقل على أنه لا يحتاج إليه عند من أخذت العناية بيديه ، هذا وإذا سمعت ما تلوناه ، ووعيت ما حققناه فاسمع الآن تحقيق الحق في كيفية سماع موسى عليه السلام كلام الحق (فأقول) الذي انتهى إليه كلام أئمة الدين كالمازدي والأشعري وغيرهما من المحققين أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بحرف وصوت كما تدل عليه النصوص التي بلغت في الكثرة مبلغا لا ينبغي معه تأويل ، ولا يناسب في مقابلته قال وقيل ، فقد قال تعالى : (ونادينه من جانب الطور الأيمن) * (وإذ نادى ربك موسى) ، (نودى من شاطئ الوادى الأيمن) (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) ، (نودى أن بورك من في النار ومن حولها) واللائق بمقتضى اللغة والأحاديث أن يفسر النداء بالصوت (١) بل قد ورد إثبات الصوت لله تعالى شأنه في أحاديث لا تحصى ، وأخبار لا تستقصى *
(روى) البخاري في الصحيح « يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعدكم يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان » ومن علم أن الله تعالى الحكيم أن يتجلى بما شاء وكيف شاء وأنه منزّه في تجليه قريب في تعاليه لا تقيد المظاهر عند أرباب الاذواق إذ له الاطلاق الحقيقي حتى عن قيد الاطلاق زالت عنه إشكالات واتضحت لديه متشابهات (٢) وما يدل على ثبوت التجلي في المظهر لله تعالى قول ابن عباس ترجمان القرآن في قوله تعالى : (أن بورك من في النار) كما في الدر المنثور يعني تبارك وتعالى نفسه كان نور رب العالمين في الشجرة ، وفي رواية عنه كان الله في النور ونودى من النور ، وفي صحيح مسلم حجاب به النور ، وفي رواية له حجاب به النار. ودفع الله سبحانه توهم التقييد بما ينافي بالتنزيه بقوله : (وسبحان الله) أي عن التقييد بالصورة والمكان والجهة وإن ناداك منها لكونه موصوفا بصفة رب العالمين فلا يكون ظهوره مقيدا له بل هو المنزه عن التقييد حين الظهور (يا موسى إنه) أي المنادى المتجلى (أنا الله العزيز) فلا أتقيده لعزتي ولكني (الحكيم) فاقترضت حكمتي الظهور والتجلى في صورة مطلوبك فالمسموع على هذا صوت وحرف سمعهما موسى عليه السلام من الله تعالى المتجلى بنوره في مظهر النار لما اقتضته الحكمة فهو عليه السلام كلم الله تعالى بلا واسطة لكن من وراء حجاب مظهر النار وهو عين تجلى الحق تعالى له. وأما ما شاع عن الأشعري من القول بسماع الكلام النفسي القائم بذات الله تعالى فهو من باب التجويز والامكان لأن موسى عليه السلام سمع ذلك بالفعل إذ هو خلاف البرهان ، وما يدل على جواز سماع الكلام النفسي بطريق خرق العادة قوله تعالى في الحديث القدسي « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به » الحديث ، ومن الواضح أن الله تبارك وتعالى إذا كان بتجليه النوري المتعلق بالحروف غيبية كانت أو خيالية

(١) قال في القاموس : النداء بالكبر والضم الصوت ، اه منه (٢) مثل قوله تعالى :

(فإني تولوا قم وجه الله) (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وحديث « إذا كان يوم الجمعة نزل ربنا تبارك وتعالى من عليين على كرسيه - إلى أن قال - ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه ، وحديث « فإذا الرب قد أشرف عليها من فوقهم فقل السلام عليكم يا أهل الجنة » إلى غير ذلك اه منه

أو حسية سمع العبد على الوجه اللائق المجامع (المليس كئله شيء) عند من يتحقق معنى الاطلاق الحقيقي صح أن يتعلق سمع العبد بكلام ليس حروفه عارضة لصوت لانه بالله يسمع إذذاك والله سبحانه يسمع السرو والتجوى * والامام الماتريدي أيضا يجوز سماع ما ليس بصوت على وجه خرق العادة كما يدل عليه كلام صاحب التبصرة في كتاب التوحيد . فما نقله ابن الهمام عنه من القول بالاستحالة فراده الاستحالة العادية فلا خلاف بين الشيخين عند التحقيق ، ومعنى قول الاشعري ان كلام الله تعالى القائم بذاته يسمع عند تلاوة كل تال وقراءة كل قارئ . أن المسموع أولا وبالذات عند التلاوة إنما هو الكلام اللفظي الذي حروفه عارضة لصوت القارئ بلا شك لكن الكلمات اللفظية صور الكلمات الغيبية القائمة بذات الحق فالكلام النفس مسموع بعين سماع الكلام اللفظي لانه صورته لا من حيث الكلمات الغيبية فانها لا تسمع إلا على طريق خرق العادة (وقول) الباقلاني إنما تسمع التلاوة دون المتلو والقراءة دون المقروء يمكن حمله على أنه أراد إنما يسمع أولا وبالذات التلاوة أي المتلو اللفظي الذي حروفه عارضة لصوت التالى لا النفس الذي حروفه غيبية مجردة عن المواد الحسية والخيالية فلا نزاع في التحقيق أيضاً * والفرق بين سماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى وسماعه على هذا أن موسى عليه السلام سمع من الله عز وجل بلا واسطة لكن من وراء حجاب ونحن إنما نسمعه من العبد التالى به بين سماع الكلام اللفظي المتلو بلسانه العارض حروفه لصوته لا من الله تعالى المتجلى من وراء حجاب العبد فلا يكون سماعا من الله تعالى بلا واسطة وهذا واضح عند من له قدم راسخة في العرفان وظاهر عند من قال بالمظاهر مع تنزيه الملك الديان . وأنت إذا أمنت النظر في قول أهل السنة القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق وهو مقروء بألسنتنا مسموع باذاننا محفوظ في صدورنا مكتوب في مصاحفنا غير حال في شيء منها رأيت قولاً بالمظاهر ودالاً على أن تنزل القرآن القديم القائم بذات الله تعالى فيها غير قادح في قدمه لكونه غير حال في شيء منها مع كون كل منها قرآناً حقيقة شرعية بلا شبهة وهذا عين الدليل على أن تجلى القديم في مظهر حادث لا ينافي قدمه وتنزيهه وليس من باب الحلول ولا التجسيم ، ولا قيام الحوادث بالقديم ولا ما يشاء كل ذلك من شبهات تعرض لمن لا رسوخ له في هاتيك المسالك ، ومنه يظهر معنى ظهور القرآن في صورة الرجل الشاحب يلتقى صاحبه حين ينشق عنه القبر وظهوره خصماً لمن حمله بخالف أمره وخصمادون من حمله فحفظ الامر بل من أحاط خبراً بأطراف ما ذكرناه وطاف فكره المتجرد عن مخبط الهوى في كعبة حرم ما حققناه اندفع عنه كل إشكال في هذا الباب ورأى أن تشنيع ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل والطوفي وأبي نصر وأمثالهم (١) صرير باب أو طنين ذباب وهم وان كانوا فضلاء محققين وأجلاء مدققين

(١) وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى في حق هؤلاء الأئمة مبالغ فيه . ولعله لم يطلع على مولفاتهم فان للامام ابن تيمية كتاباً شرح فيه حديث النزول وبين صفة الكلام والنزول وغير ذلك من صفات الله تعالى وانه لا فرق بينها في الاعتقاد باقائها على ظاهرهما بدون تحريف ولا تأويل ولا تصحيف وأورد كلام علماء السلف في ذلك . وللإمام ابن القيم أيضاً كتاب سماه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية عن هؤلاء المؤولين لصفات الله بما لم يرد به دليل من كتاب ولا سنة ولا قول لصحابي ولا تابعي ، وحاصل اعتقاد السلف في ذلك أن الله كلاماً هو صفته كما أخبر بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله وأنه ليس كئله شيء . والبحث في ذلك ليس من سنة السلف وأئمة الدين بل هو من المتكلمين الذين أشرب في قلوبهم نقل علوم اليونانيين زمن المأمون فأكسبهم خيالات وهمية في أذهانهم وفرضيات فاسدة واحتمالات ما أنزل الله بها من سلطان . نسأل الله لإصلاح الأمة والعمل بما كان عليه سلفها : اه مصححه منير

لكنهم كثيراً ما انحرفت أفكارهم واختلطت أنظارهم فوقعوا في علماء الأمة وأكابر الأئمة وبالغوا في التعنيف والتشنيع وتجاوزوا في التسخيف والتفطيم ولولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعاً بصاع ولتقدمت إليهم بما قدموا باعاً بباع ولعلبتهم كيف يكون الهجاء؛ بحروف الهجاء. ولعرفتهم إلّام ينتهى المراء بلا مراء *

فلى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوم ومن رام تعويمى فانى معوج

على أن العفو أقرب للتقوى. والاعضاء مبنى الفتوة وعليه الفتوى. والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراماً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وحيث تحرر الكلام في الكلام على مذهب أهل السنة واندفع عنه بفضل الله تعالى كل محنة ومهنة، فلا بأس بأن نحكى بعض الأقوال، كما حكى الله تعالى كثيراً من أقوال ذوى الضلال، وبعد أن رسخ الحق في قلبك، وتغلغل في سويدانه كلام ربك لا أخشى عليك من سماع باطل لا يزيدك إلا حقاً. وكاذب لا يورثك إلا صدقاً ﴿ فنقول ﴾ أما المعتزلة فاتفقوا كافة على أن معنى كونه تعالى متكلماً أنه خالق الكلام على وجه لا يعود إليه منه صفة حقيقية كما لا يعود إليه من خلق الاجسام وغيرها صفة حقيقية، واتفقوا أيضاً على أن كلام الرب تعالى مركب من الحروف والاصوات وأنه يحدث مخلوق ثم اختلفوا فذهب الجبائي وابنه أبو هاشم إلى أنه حادث في محل، ثم زعم الجبائي أن الله تعالى يحدث عند قراءة كل قارئ كلاماً لنفسه في محل القراءة وخالفه الباقر، وذهب أبو الهذيل بن العلاف وأصحابه إلى أن بعضه في محل وهو قوله كن، وبعضه لا في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار، وذهب الحسن بن محمد النجار إلى أن كلام الباري إذا قرئ فهو عرض وإذا كتب فهو جسم، وذهبت الامامية والخوارج والحشوية إلى أن كلام الرب تعالى مركب من الحروف والاصوات، ثم اختلف هؤلاء فذهب الحشوية إلى أنه قديم، إلى قائم بذات الرب تعالى لكن منهم من زعم أنه من جنس كلام البشر وبعضهم قال لا بل الحرف حرفان والصوت صوتان قديم وحادث والقديم منهما ليس من جنس الحادث، وأما الكرامية فقالوا إن الكلام قديم يطلق على القدرة على التكلم وقديم يطلق على الأقوال والعبارات وعلى كلا التقديرين فهو قائم بذات الله تعالى لكن إن كان بالاعتبار الأول فهو قديم متحد لا كثرة فيه وإن كان بالاعتبار الثاني فهو حادث متكثر، وأما الواقفية فقد أجمعوا على أن كلام الرب تعالى كائن بعد أن لم يكن لكن منهم من توقف في إطلاق اسم القديم والمخلوق عليه ومنهم من توقف في إطلاق اسم المخلوق وأطلق اسم الحادث ومن القائلين بالحادث من قال ليس جوهر أو لا عرضاً، وذهب بعض المعترفين بالصانع إلى أنه لا يوصف بكونه متكلماً لا بكلام ولا بغير كلام والذي أوقع الناس في حيص بيص أنهم رأوا قياسين متعارضين النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له وكل ماهو صفة له فهو قديم فكلام الله تعالى قديم، وكلام الله تعالى مركب من حروف مرتبة متعاقبة في الوجود وكل ماهو كذلك فهو حادث فكلام الله تعالى حادث، فقوم (١) ذهبوا إلى أن كلامه تعالى حروف وأصوات وهى قديمة ومنعوا أن كل ماهو مؤلف من حروف وأصوات فهو حادث ونسب إليهم أشياء هم برآء منها، وآخرون (٢) قالوا بحديث كلامه تعالى وأنه مؤلف من أصوات وحروف وهو قائم بغيره ومعنى كونه متكلماً عندهم أنه موجد لتلك الحروف والاصوات في جسم كاللوح أو ملك كجبريل أو غير ذلك فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والاصوات صفة الله تعالى، وأناس (٣) لما رأوا مخالفة الأولين للضرورة الظاهرة

التي هي أشنع من مخالفة الدليل ومخالفة الآخرين فيما ذهبوا إليه للعرف واللغة ذهبوا إلى أن كلامه تعالى صفة له مؤلفة من الحروف والاصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى فهم منعوا أن كل ما هو صفة له تعالى فهو قديم، وجمع قالوا: كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى قديم فهم منعوا أن كلامه تعالى مؤلف من الحروف والاصوات وكثرت في حقهم القال والقبل والنزاع الطويل، وبعضهم تحير فوقف وحبس ذهنه في مسجد الدهشة واعتكف، وعند القياسان صحيحان والنتيجتان صادقتان ولكل مقام مقال ولكل كلام أحوال ولا أظنك تحوجني إلى التفصيل بعد ما وعاه فكرك الجميل بل ولا تكلفني رد هذه الأقوال الشنيعة التي هي لديك إذا أخذت العناية بيدك كسراب بقية فليطر شحور القلم إلى روضة أخرى وليغرد بفائدة لعلها أولى من الاطالة وأحرى والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب لأرب غيره *

(الفائدة الخامسة) في بيان المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن أقول روى أحد وعشرون صحابياً (١) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف حتى نص أبو عبيدة على تواتره وفي مسند أبي يعلى أن عثمان رضي الله عنه قال على المنبر أذكر الله رجلا سمع النبي ﷺ قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال وأنا أشهد معهم، واختلف في معناه على أقوال (أحدها) أنه من المشكل الذي لا يدري لا شتر الحرف (٢) وفيه أن مجرد الاشتراك لا يستدعي ذلك اللهم إلا أن يكون بالنظر إلى هذا القائل (ثانيها) أن المراد التكثير لا حقيقة العدد وقد جروا على تكثير الأحاد بالسبعة والعشرات بالسبعين والمئات بسبعمائة وسر التسبيع لا يخفى واليه جنح عياض وفيه مع عدم ظهور معناه أن حديث أبي كمار رواه النسائي «أن جبريل وميكائيل أتاني فقعده جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف» ونحوه من الأحاديث لا سيما حديث أبي بكرة الذي في آخره ونظرت إلى ميكائيل فسكت فعملت أنه قد انتهت العدة، أقوى دليل على إرادة الانحصار بل في جمع القلة نوع إشارة إلى عدم الكثرة كما لا يخفى (ثالثها) أن المراد بها سبع قرأت وفيه أن ذلك لا يوجد في كلمة واحدة إلا نادراً (٣) والقول أن كلمة تقرأ بوجه أو وجهين إلى سبع يشكل عليه ما قرئ على أكثر اللهم إلا أن يقال ورد ذلك مورد الغالب وفيه ما لا يخفى حتى قال السيوطي قد ظن كثير من القوم أن المراد بها القراآت السبعة وهو جهل قبيح فتدبر (رابعها) أن المراد بها سبعة أوجه من المعاني المتفقة على ألفاظ مختلفة نحو أقبل. وتعال. وهلم. وعجل. وأسرع، واليه ذهب ابن عينة وجمع وأيد برواية حتى بلغ سبعة أحرف قال : كلها شاف كاف مالم تختتم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، وبما حكى أن ابن مسعود أقرأ رجلاً (إن شجرة الزقوم طعام الآثيم) فقال الرجل طعام الآثيم فردها عليه فلم يستقم بها لسانه فقال أتستطيع أن تقول الفاجر؟ قال نعم قال فافعل، وفيه أن ذلك كان رخصة لعسر تلاوته بلفظ واحد على الآمين ثم نسخ والالجازات روايته بالمعنى ولذهب التعب بلفظه ولا تسع الخرق ولفات كثير من الأسرار والاحكام وهذا يستدعي نسخ الحديث وفيه بعد بل لا قائل به (خامسها) أن المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتلين وتحقيق، وفيه أن ذلك ليس من الاختلاف

(١) وهم أبي بن كعب وأنس وحذيفة وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسليمان بن صبرة وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمر بن أبي سلمة وعمر بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبو بكرة وأبو جهم وأبو سعيد الخدري وأبو طلحة الأنصاري وأبو هريرة وأم أيوب أم منه (٢) أي لغة بين الكلمة والمعنى والجهة قاله ابن سعيدي النحوي أم منه (٣) مثل (عبد الطاغوت) (ولا تقل لها أف) أم منه

الذى يتنوع فيه اللفظ والمعنى، واللفظ الواحد بهذه الصفات باق على وحدته فليس فيه حينئذ جليل فائدة •
 ﴿سادسها﴾ أن المراد سبعة أصناف وعليه كثيرون ثم اختلفوا في تعيينها فقليل: بحكم ومتشابه وناسخ
 ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص، وقيل: إظهار الربوبية وإثبات الوجدانية وتعظيم الألوهية والتعبد لله
 ومجانبة الاشرار والترغيب في الثواب والترهيب من العقاب. وقيل أمر ونهى ووعد ووعد وإباحة وإرشاد
 واعتبار. وقيل غير ذلك والكل محتمل بل وأضعاف أمثاله إلا أنه لا مستند له ولا وجه للتخصيص •

﴿سابعها﴾ أن المراد سبع لغات واليه ذهب ثعلب وأبو عبيد والأزهري. وآخرون واختاره ابن
 عطية وصححه البيهقي. واعتراض بأن لغات العرب أكثر. وأجيب بأن المراد أفصحها وهى لغة قريش
 وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر. واستنكره ابن قتيبة قائلاً: لم ينزل القرآن إلا بلغة
 قريش بدليل (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) وعليه يلتزم كون السبع في بطون قريش. وبه جزم
 أبو على الأزهري وليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل أنها مفرقة فيه ولعل بعضها أسعد من
 بعض وأكثر نصيباً. وقيل السبع في مضر خاصة لقول عمر رضى الله عنه: نزل القرآن بلغة مضر، وقال بعضهم:
 إنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيمم الرباب وأسيد بن خزيمه وقريش، وقيل أنزل أولاً بلسان قريش ومن جاورهم
 من الفصحاء ثم أتيح للعرب أن تقرأ بلغاتها دفعا للشقة ولما كان فيهم من الحمية ولم يقع ذلك بالتشهي بل
 المرعى فيه السماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وكيفية نزول القرآن على هذه السبع أن جبريل عليه
 السلام كان يأتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كل عرسه بحرف إلى أن تمت. قال السيوطى بعد نقل هذا
 القول وذكر ماله وما عليه وبعد هذا كله هو مردود بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهشام بن حكيم كلاهما
 قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراتهما ونحال أن ينكر عليه عمر لغته فدل على أن المراد
 بالاحرف السبعة غير اللغات انتهى، وباليست شعري ادعى أحد من المسلمين أن معنى إنزال القرآن على هذه السبع
 من لغات هؤلاء العرب أنه أنزل كيفما كان وأنهم هم الذين هذبوه بلغاتهم ورشحوه بكلماتهم بعد الاذن لهم بذلك
 فإذا لا تختلف أهل قبيلة واحدة في كلمة ولا يتنازع اثنان منهم فيها أبداً أن الله تعالى شأنه ظهر كلامه في مرايا هذه
 اللغات على حسب ما فيها من المزايا والنكات. فنزل بها وحيه. وأداها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم. ووعاها
 أصحابه فكم صحابي هو من قبيلة وعى كلمة نزلت بلغة قبيلة أخرى وكلاهما من السبع وليس له أن يغير ما وعى بل
 كثيراً ما يختلف صحابيان من قبيلة في الرواية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكل من روايتهما على غير
 لغتهما كل ذلك اتباعاً لما أنزل الله تعالى وتسليماً لما جاء به رسول الله ﷺ، وقد ينفي صحابي غير روايته وينكر رواية
 غيره وكل ذلك يدل على أن مرجع السبع الرواية لا الدراية فردا لا امام السيوطى لا أدري ماذا أرد منه وما الذى
 أسكت عنه، فهذا هو بين يديك، فاعمل ما شئت فيه، وسلام الله تعالى عليك، وما ذكرناه علمت أن القلب يميل
 إلى هذا السابع فافهم، وقد حققنا بعض الكلام في هذا المقام في كتابنا الاجوبة العراقية، عن الأسئلة الإيرانية
 فارجع اليه إن أردته والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿الفائدة السادسة﴾ في جمع القرآن وتربيته، اعلم ان القرآن جمع
 أو لاجبضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أخرج الحارث بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال
 كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع. وثانياً بحضرة أبي بكر رضى الله تعالى عنه فقد
 أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت أيضاً قال: «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب

عنده فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر بقرآن القرآن (١) وإنني أخشى أن يستحرق القتل بالقرآن في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال عمر: هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت الذي رأى عمر قال زيد قال أبو بكر إنك شاب عاقل لا تهملك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتدفع القرآن فاجمعه فوالله لو كفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتبعت القرآن أجمعه من العسب (٢) والخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع خزيمه الانصارى لم أجدها مع غيره (لقد جاءكم رسول) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر وأخرج ابن أبي داود بسند رجاله ثقات مع انقطاع أن أبا بكر قال لعمر وزيد مع انه كان حافظاً أقعدا على باب المسجد فمن جاءهما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه، ولعل الغرض من الشاهدين أن يشهدا على أن ذلك كتب بين يدي الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو على أنه ما عرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عام وفاته وإنما اكتفوا في آية التوبة بشهادة خزيمه لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين والقول بأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة بما لا حجار له (٣) وما شاع أن علياً كرم الله وجهه لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخاف لجمعه فبعض طرقة ضعيف (٤)، وبعضها موضوع (٥) وما صح (٦) فمحمول كما قيل على الجمع في الصدر، وقيل كان جمعا بصورة أخرى لغرض آخر، ويؤيده أنه قد كتب فيه النسخ والمسنوخ فهو ككتاب علم، وقد أخرج ابن أبي داود بسند حسن عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر رضي الله تعالى عنه رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله أي على الوجه الذي تقدم فلا ينافي ما في مختصر القرمانى أن أبا بكر من جمعه عمر رضي الله تعالى عنه. وما روى عن أبي بريدة أنه قال أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه فهو مع غرابته وانقطاعه محمول على أنه أحد الجامعين بأمر أبي بكر رضي الله تعالى عنه قاله الامام السيوطي وهي عثرة منه لا يقال لصاحبها لعل لأن سالماً هذا قتل في وقعة اليمامة كما يدل عليه كلام الحافظ. ابن حجر في إصابته ونص عليه السيوطي نفسه في إتقانه بعد هذا المبحث بأوراق ولا شك أن الامر بالجمع وقع من الصديق بعد تلك الوقعة وهي التي كانت سبباً له كما يدل عليه حديث البخاري الذي قدمناه فسيحان من لا ينسى، وما اشتهر أن جامع عثمان فهو على ظاهره باطل لانه رضي الله تعالى عنه إنما حمل الناس في سنة خمس وعشرين (٧) على القراءة

(١) وقد روى انه قتل يوم اليمامة سبعون من القراء منهم سالم مولى أبي حذيفة اه منه (٢) العسب جمع عسب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، والخاف بكسر اللام وبجاءه معجمة خفيفة آخره فاء جمع لحفة بفتح اللام وسكون الخاء هي الحجارة الرقاق؛ وقال الخطابي صفائح الحجارة اه منه (٣) هذا القول لابن حجر قاله على سبيل الظن وهو من بعضه اه منه (٤) وهو ما أخرجه ابو داود من طريق ابن سيرين اه منه (٥) وهو ما أخرجه غير واحد من رواة أبي حيان التوحيدى أحد زنادقة الدنيا اه منه (٦) كرواية أبي الضريس في فضائل علي رضي الله تعالى عنه اه منه (٧) وقيل في حدود سنة ثلاثين ولا يمتنع له اه منه

بوجه واحد باختيار وقع بينه وبين من شهد من المهاجرين والانصار لما خشي الفتنة من اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءة، فقد روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان أدرك الأمة قبل أن يختلفوا في اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت (١) وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف (٢) مما نسخوا وأمر بما سواه من القراءة في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال زيد: ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها فالتسناها فوجدناها مع خزيم بن ثابت الانصاري (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ألحقناها في سورتها في المصحف. وقد ارتضى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أن المرتضى كرم الله تعالى وجهه قال علي ما أخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة عنه: لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملائكة من أرواحه لو وليت لعملت بالمصحف الذي عمله عثمان، وما نقل عن ابن مسعود أنه قال لما أحرق مصحفه: لو ملكتك كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كما صنعوا بمصحفي كذب كسوء معاملة عثمان معه التي يزعمها الشيعة حين أخذ المصحف منه، وهذا الذي ذكرناه من فعل عثمان هو ما ذكره غير واحد من المحققين حتى صرحوا بأن عثمان لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة قريش محتجاً بأن القرآن نزل بلغتهم •

ويشكل عليه ما مر آتفاً من قول زيد فقدت آية من الأحزاب الح فإنه بظاهره يستدعي أن في المصاحف العثمانية زيادة لم تكن في هاتيك الصحف والأمر في ذلك هين إذ مثل هذه الزيادة اليسيرة لا توجب مغايرة يعبأ بها ولعلها تشبه مسألة التضاريس، ولو كان هناك غيرها لذكر وليس فليس، ولا تقدح أيضاً في الجمع السابق إذ يحتمل أن يكون سقوطها منه من باب الغفلة وكثيراً ما تعثر السارحين في رياض حظائر قدس كلام رب العالمين فيذكرهم سبحانه بما غفلوا فيتداركون ما غفلوا. وزيد هذا كان في الجمعين ولعله الفرد المعول عليه في البين لكن عراه في أولها ما عراه. وفي ثانيهما ذكره من تكفل بحفظ الذكر فتدرك ما نساها. وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة لاسيما الصدر الأول الذي حوى من الأكابر ما حوى وتصدر فيه للخلافة الراشدة على المرتضى. وهو باب مدينة العلم لكل عالم. والاسد الأشد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعد من القرآن وإلا لوقع الشك في كثير من ضروريات هذا الدين الواضح البرهان وزعمت الشيعة أن عثمان بل أبو بكر وعمر أيضاً حرقوه وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره، فقد روى الكليني منهم عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد ﷺ

(١) وأخرج ابن أبي داود أنه جمع اثني عشر رجلاً من قريش والانصار اه منه

(٢) فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى الهيرة وإلى الكوفة وحبس بالمدينة واحداً كما أخرج

ذلك ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات اه منه

سبعة عشر ألف آية (١) وروى محمد بن نصر عنه أنه قال كان (في لم يكن) اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وروى عن سالم بن سليمة، قال قرأ رجل على أبي عبد الله - وأنا أسمع - حروفا من القرآن ليس ما يقرأها الناس فقال أبو عبد الله مه عن هذه القراآت وقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم فقرأ كتاب الله على حده، وروى عن محمد بن جهم الهلالي وغيره عن أبي عبد الله (أن أمة هي أرى من أمة) ليس كلام الله بل محرف عن موضعه والمنزل - أمة هي أرى من أمتكم - وذكر ابن شهر آشوب المازندراني في كتاب المثالب أنه سورة الولاية أسقطت بتأنيدها وكذا أكثر سورة الأحزاب فإنها كانت مثل سورة الأنعام فأسقطوا منها فضائل أهل البيت، وكذا أسقطوا لفظ - ويملك من قبل لا تحزن إن الله معنا، وعن ولاية علي من بعد، وقفوه لهم مسئولون، وبعل بن أبي طالب من بعد، وكفى الله المؤمنين القتال، وآل محمد من بعد وسيعلم الذين ظلموا - إلى غير ذلك فالقرآن الذي بأيدي المسلمين اليوم شرقا وغربا وهو لكثرة الاسلام ودائرة الاحكام مركزا وقطباً أشد تحريفاً عنه هؤلاء من التوراة والانجيل وأضعف تأليفاتهما وأجمع للأباطيل، وأنت تعلم أن هذا القول أوهى من بيت العنكبوت وأنه لا وهن البيوت ولا أراك في مرية من حماقة مدعيه وسفاهة مفتريه، ولما تفتن بعض علمائهم لما به جعله قولا لبعض أصحابه قال الطبرسي في مجمع البيان (٢) أما الزيادة فيه أي القرآن فمجمع على بطلانها، وأما النقصان فقد روى عن قوم من أصحابنا وقوم من حشوية العامة والصحيح خلافه وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن الغاية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن مفجر النبوة ومأخذ العلوم الشرعية، والاحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد، وقال أيضا: إن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملة وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيويه والمزني فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتى لو أن مدخلا أدخل في كتاب سيويه بابا من النحو ليس من الكتاب لعرف وميزانه ملحوق وأنه ليس من أصل الكتاب وكذا القول في كتاب المزني ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيويه ودواوين الشعراء. وذكر أيضا أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان وأنه كان يعرض على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتباً غير مشهور ولا مبثوث، وذكر أن من خالف ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته انتهى. وهو كلام دعاه إليه ظهور فساد مذهب أصحابه حتى للأطفال والحمد لله على أن ظهر الحق وكفى الله المؤمنين القتال - إلا أن الرجل قد دس في الشهد سما وأدخل الباطل في حمى الحق الأحمى (أما أولا) فلان نسبة ذلك إلى قوم من حشوية العامة الذين يعني بهم أهل السنة

والجماعة فهو كذب أو سوء فهم لانهم أجمعوا على عدم وقوع النقص فيما تواتر قرآننا كما هو موجود بين الدفتين اليوم، نعم أسقط زمن المصدق مالم يتواتر وما نسخت تلاوته وكان يقرأه من لم يبلغه النسخ ومالم يكن في العرصة الأخيرة ولم يأل جهدا رضى الله تعالى عنه في تحقيق ذلك إلا أنه لم ينتشر نوره في الآفاق إلا زمن ذى النورين فهذا نسب اليه كما روى عن حميدة بنت يونس أن في مصحف عائشة رضى الله عنها (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) - وعلى الذين يصلون الصفوف الأول - وأن ذلك قبل أن يغير عثمان المصاحف فما أخرج أحمد عن أبي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك فقرأ على (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) - إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل ذلك فلن يكفره» - وفي رواية «ومن يعمل صالحا فلن يكفره وما اختلف الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) - إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية ما كان الناس إلا أمة واحدة ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس بيمين الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده أولئك عند الله خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه» وفي رواية الحارم «فقرأ فيها ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه يسأل ثانيا ولو سأل ثانيا فأعطيه يسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» وما روى عنه أيضا أنه كتب في مصحفه سورتي الخلع والحفد - اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق - فهو من ذلك القبيل ومثله كثير، وعليه يحمل ما رواه أبو عبيد عن ابن عمر قال لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقول قد أخذت منه ما ظهر، والروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصى إلا أنها محمولة على ما ذكرناه، وأين ذلك بما يقوله الشيعي الجسور (ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) * وأما ثانيا فلأن قوله إن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن النسخ إن أراد به أنه مرتب الآي والسور كما هو اليوم وأنه يقرأه من حفظه في الصدر من الأصحاب كذلك لكنه كان مفرقا في العصب واللخاف فسلم إلا أنه خلاف الظاهر من سياق كلامه وسباقه وإن أراد أنه كان في العهد النبوي مقروما كما هو الآن لا غير وكان مرتبا ومجموعا في مصحف واحد غير متفرق في العصب واللخاف فممنوع والدليل الذي استدلل به لا يدل عليه كما لا يخفى، وبالله العجب كيف ذكر في هذا المعرض ختمات ابن مسعود وأبي على النبي ﷺ وجعل ذلك من أدلة مدعاه مع أن مروى كل منهما يخالف مروى الآخر وكلاهما يخالفان ما في المصحف العثماني فالسور مثلا في مصحفنا مائة وأربعة عشرة باجماع من يعتد به وقيل ثلاثة عشرة بجعل الانفال وبراءة سورة واحدة وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنان عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين (١) بل صح عنه (٢) أنه كان يحكمهما من المصاحف ويقول ليستمن كتاب الله تعالى وإنما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتعوذ بهما

(١) لم يكتب الفاتحة أيضا لكن لا لاعتقاد أنها ليست من القرآن معاذ الله ولكن للاكتفاء بحفظ الوجوب قراءتها في الصلاة فلا يخشى ضياعها منه (٢) كما أخرجه عبد الرحمن بن أحمد والطبراني عن النخعي اه منه

ولهذا عوذ بهما الحسن والحسين ولم يتابعه أحد من الصحابة على ذلك وقد صرح أنه ﷺ قرأها في الصلاة، فالظاهر أنهما غير متواترتين قرآنا عنده والقول بأنه إنما أنكر الكتابة وأراد بالكتاب المصحف ليم التأويل مستبعد جداً بل لا يصح كالأخفى، وفي مصحف أبي خمسة عشرة لأنه كتب في آخره بعد (العصر) سورتي الخلع والحفد وجعل سورة (الفيل وقريش) فيه سورة واحدة وترتيب كل أيضاً متغاير ومغاير لترتيب مصحفنا مغايرة لاسترة عليها فسورة (ن) في مصحف ابن مسعود بعد (الذاريات) و (لا أقسم يوم القيامة) بعد (عم) و (النازعات) بعد (الطلاق) و (الفجر) بعد (التحریم) إلى غير ذلك وسورة (بنی اسرائیل) في مصحف أبي بعد (الكهف) و (الحجرات) بعد (ن) و (تبارك) بعد (الحجرات) و (النازعات) بعد (الواقعة) و (الم نشرح) بعد (قل هو الله أحد) مع اختلاف كثير يظهر لمن رجع إلى الكتب المتقنة في هذا الباب، وكأن ران البغض غطى على قلب هذا البعض فقال ما قال ولم يتفكر في حقيقة الحال ولم يبال بوقع النبال قاصداً أن يستر بمنخل محتل كذبه نور ذی النورین الساطع عليه من برج شمس الكونین ومن بدر صحبه مع أن نسبة هذا الجمع اليهما من أوضح الأمور بل أشهر من المشهور، وهو شائع أيضاً عند الشيعة وليس لهم إلى إنكاره ذريعة ولكن مركب التعصب عثور ومذهب التعسف محذور، وإذا حققت ما ذكرناه ووعيت ما عليك تلواناه فاعلم أن ترتيب آیه وسوره بتوقيف من النبي ﷺ أما ترتيب الآی فكونه توقيفياً بما لا شبهة فيه حتى نقل جمع منهم الزركشي (١) وأبو جعفر (٢) الإجماع عليه من غير خلاف بين المسلمين والنصوص متظافرة على ذلك * وما يدل بظاهره من الآثار على أنه اجتهدى معارض ساقط عن درجة الاعتبار كالخبر الذي أخرجه ابن أبي داود بسنده عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال - أتى الحرث بن خزيمة بها تين الآيتين من آخر سورة براءة فقال أشهد أني سمعتهما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيتهما فقال عمرو أنا أشهد لقد سمعتهما ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجمعتهما سورة على حدة فانظروا آخر سورة من القرآن فالحقوها في آخرها فانه معارض بما لا يحصى مما يدل على خلافه، ل ابن أبي داود مخرجه خبر يعارضه أيضاً فقد أخرج أيضاً عن أبي أنهم جمعوا القرآن فلما انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) ظنوا أن هذا آخر ما نزل فقال أبي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقراني بعد هذا آيتين (لقد جاءكم رسول) إلى آخر السورة * وأما ترتيب السور ففقي كونه اجتهداياً أو توقيفياً خلاف والجمهور على الثاني (٣) قال أبو بكر الانباري انزل الله تعالى القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمري يحدث والآية جوا بالمستخير فيوقف جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على موضع الآية والسورة، فمن قدم أو أخر فقد أفسد (٤) نظم القرآن وقال الكرماني: ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ وعليه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وقال الطيبي مثله وهو المروى عن جمع غفير إلا أنه يشكك على هذا ما أخرجه احمد والترمذي وابوداود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم إلى الانفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين (٥) فقرتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان كان

(١) في البرهان اه منه (٢) في المناسبات اه منه (٣) وهذا آخر قوليه اه منه (٤) وبعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن للإشارة إلى ظهور التغابن بعد فزده ﷺ اه منه (٥) المثين ما تزيد على مائة آية أو تقاربها والمثاني هنا ما ولي المثين اه منه

رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه النسخ دعا بعض من كان يكتب فيقول دعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شديدة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال فهذا يدل على أن الاجتهاد دخل في ترتيب السور ولهذا ذهب البيهقي إلى أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والانفال وله انشرح صدر الامام السيوطي لما ضاق ذرعاً عن الجواب ، والذي ينشرح له صدر هذا الفقير هو ما انشرفت له صدور الجمع الغفير من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح من القرآن وحاشا أن يهمل صلى الله تعالى عليه وسلم أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته فلا بد إما من التصريح بموضع الآي والسور وإما من الرمز اليهم بذلك وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب ؛ وعدولهم عما كان أولاً من بعضهم على غيره من الاساليب ، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ، ولا يصددهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل ، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علماً ، ولم يدع عندهم خيالاً ولا وهماً ، وعثمان رضي الله تعالى عنه وإن لم يقف على ما يفيد القطع في براءة والانفال وفعل ما فعل بناء على ظنه إلا أن غيره وقف ، وقبل ما فعله ولم يتوقف ، وكما لعمر رضي الله تعالى عنه موافقات لربه أدى إليها ظنه فليكن لعثمان هذا الموافقة التي ظفر غيره بتحقيقها من النصوص أو الرموز فسكت على أن ذلك كان قبل ما فعل عثمان عند التحقيق ولكن لما رفعت الاقلام وجفت الصحف واجتمعت الكلمة في أيامه واقتدت المسلمون في سائر الآفاق بامامه ، نسب ذلك اليه ، وقصر من دونهم عليه والسؤال منه وجوابه ليسا قطعيين في الدلالة على الاستقلال لجواز أن يكون السؤال للاستخبار عن سر عدم المخالفة ، والجواب لا بدائه على ما خطر في البال ، وبالجملة بعد إجماع الامة على هذا المصحف لا ينبغي أن يصاح إلى آحاد الاخبار ولا يشرأب إلى تطلع غرائب الآثار فافهم ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك ﴿ الفائدة السابعة ﴾ في بيان وجه إعجاز القرآن *

﴿ اعلم ﴾ أن إعجاز القرآن بما لا مزية فيه ولا شبهة تعتريه وأرى الاستدلال هنا عليه بما لا يحتاج اليه والشبه صير باب او طنين ذباب والاهم بالنسبة الينا بيان وجه الإعجاز والكلام فيه على سبيل الإيجاز ﴿ فنقول ﴾ قد اختلف الناس في ذلك فذهب بعض المعتزلة إلى ان وجه إعجازه اشتماله على النظم الغريب والوزن العجيب والاسلوب المخالف لما استنبطه البلغاء من العرب في مطالعهم وفواصلهم ومفاصلهم ورد بوجهين ﴿ الاول ﴾ أنا لانسلم المخالفة فان كثيراً من آياته على وزن أبيات العرب نحو قوله تعالى ﴿ ومن ترى فأنما يتزكى لنفسه ﴾ وقوله تعالى ﴿ ومن يبق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ومثله كثير ﴿ الثاني ﴾ أنا لو سلمنا المخالفة لكن لانسلم أنه مجرد ما يكون معجزاً وإلا لكانت حماقات مسيلة إذ هي على وزنه كذلك ، وذهب الجاحظ إلى أنه اشتماله على البلاغة التي تتقاصر عنها سائر ضروب البلاغات ورد بوجوه ﴿ الاول ﴾ أنا إذا نظرنا إلى أبلغ الخطب وأجزل الشعر وقطعنا النظر عن الوزن وقسناه بقصار القرآن كان الأمر في التفاوت ملتبساً ، والمعجز لا بد ان ينتهي الى حد لا يبقى معه لبس ولا رية ﴿ الثاني ﴾ ان القرآن غير خارج عن كلام العرب وما من أحد من بلغائهم إلا وقد كان مقدوراً له الاتيان بقليل من مثل ذلك والقادر على البعض قادر على الكل ﴿ الثالث ﴾ ان الصحابة اختلفوا في البعض ولو كان منتهاياً إلى الإعجاز بلاغة لعرفوه وما اختلفوا ﴿ الرابع ﴾ انهم طلبوا البينة من أي شيء

منه ولو كانت بلاغته منتهية إلى حد الإعجاز ما طلبوها ﴿الخامس﴾ أن في كل عصر من تنتهي إليه البلاغة وذلك غير موجب للإعجاز ولا للدلالة على صدق مدعى الرسالة لجواز أن يكون هو من انتهت إليه، وقيل هو اشتماله على الاخبار بالغيب ورد، أما أولا فبأن الإصابة في المرة والمرة ليست من الخوارق والحد الذي يصير به الاخبار خارقا غير مضبوط فاذا لا يمتنع أن يقال ما اشتمل عليه القرآن لم يصل اليه، وأما ثانيا فبأنه يلزم أن يكون أخبار المنجمين والكهنة عن الأموار المغيبة مع كثرة إصابتها معجزة، وأما ثالثا فبأنه يلزم أن تكون التوراة كذلك لاشتغالها كاشتماله. وأما رابعا فبأنه يلزم أن يكون الخالي عن الاخبار بالغيب من القرآن غير معجز. وقيل هو كونه مع طوله وامتداده غير متناقض ولا مختلف وأبطل بوجهين (الاول) أنا لانسلم عدم التناقض والاختلاف فيه أما التناقض فقوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) والبحر كلفه فيه وقال تعالى: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ثم قال. (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وقال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا) فحصر المانع في أحد السببين وقال (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) فحصر المانع في غيرهما إلى غير ذلك، وأما الاختلاف فكقوله تعالى (طال صوف المنفوش) بدل (كالهين المنفوش) وقوله تعالى (ضربت عليهم المسكنة والذلة) بدل قوله النلة المسكنة وقوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وهو أب لهم وقوله تعالى فى خاق آدم مرة من تراب ومرة من حمأ ومرة من طين ومرة من صلصال على أن فيه تكراراً لفظيا ومعنويا كما فى الرحمن وقصة موسى مثلاً وتعرضا لايضاح الواضحات كما فى قوله تعالى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) وقال عثمان: إن فى القرآن لحناستقيمه العرب بألسنتها (الثانى) أنا لو سلمنا السلامة من جميع ذلك لكنه ليس باعجاز إذ هو موجود فى كثير من الخطب والشعر ويظهر كليا فيما يكون على مقدار بعض السور القصار بتقدير التحدى بها، وقيل هو موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى ورد بأنه معتاد فى أكثر كلام البلغاء وينتقض أيضا بكلام الرسول الغير المعجز وبالتوراة والانجيل، وقيل إعجازه قدمه واعتراض بأنه يستدعى أن يكون كل من صفاته تعالى كذلك وأيضا الكلام القديم مما لا يمكن الوقوف عليه فلا يتصور التحدى به ﴿وقال﴾ الاستاذ أبو إسحاق الاسفراينى، والنظام: إعجازه بصرف دواعى بلغاء العرب عن معارضته، وقال المرتضى بسلبهم العلوم التى لا بد منها فى المعارضة واعتراض بأربعة أوجه (الاول) أنه يستلزم أن يكون المعجز الصرفة لا القرآن وهو خلاف ما عليه إجماع المسلمين من قبل (الثانى) أن التحدى وقع بالقرآن على كل العرب فلو كان الإعجاز بالصفة لكانت على خلاف المعتاد بالنسبة إلى كل واحد ضرورة تحقق الصرفة بالنسبة إليه فيكون الاتيان بمثل كلام القرآن معتاداً له والمعتاد لكل ليس هو الكلام الفصيح بل خلافة فيلزم أن يكون القرآن كذلك وليس كذلك*.

(الثالث) أنه يستلزم أن يكون مثل القرآن معتاداً من قبل لتحقيق الصرفة من بعد فتجوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها (الرابع) وهو خاص بمذهب المرتضى أنه لو كان الإعجاز بفقد العلوم لتناطقوا به ولو تناطقوا لشاع إذ العادة جارية بالتحديث بالخوارق فحيث لم يكن دل على فساد الصرفة بهذا الاعتبار، واستدل بعضهم على فساد القول به بقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن) الآية فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لانه بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بما يحتفل بذكره ولا بأس بانضمامه إلى

ما ذكرناه. وأما الاكتفاء به في الاستدلال فلا أظنك ترضاه، وقال الآمدي وغيره الإعجاز بجملته (١) وبالنظر إلى نظامه وبلاغته وإخباره عن الغيب وارتضاه الكثير، وقولهم فيما قبل لأنسلم المخالفة الخ يجاب عنه بأن ما ذكره وإن كان على وزن الشعر إلا أنه لا يعد شعراً ولا قائله شاعر الآن الشعر ما قصد وزنه وحيث لا قصد لا شعر وقد يعرض للبلاء في سرد خطبهم المنسجمة مثل ذلك بل قد يتفق لمن لا يعرف الشعر رأساً من العوام كلمات متزنة نحو قول السيد لعبده مثلاً ادخل السوق واشتر اللحم واطبخ، ولهذا قال الوليد (٢) «لما قرأ عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن فكأنما رق له فاقترح عليه أبو جهل أن يقول فيه ما يبلغ قومه أنه منكر له وكاره ما ذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيثان من هذا والله إن لقوله الذي يقول له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ومغدد أسفله وإنه ليعلو ولا يعلو وإنه ليعظم ماتحته» وقولهم إنا لو سلمنا الخ مسلم لكن لا يلزم أن لا يكون مع البلاغة والإخبار بالغيب معجزاً ومن هنا يعلم الجواب عن الاعتراض على أن وجه إعجازه بلاغته على أن الأوجه الخمسة التي ذكرها فيه باطلة.

(أما الأول) فلأن التفارقت بين لمن تحدى به من البلاء ولذا لم يعارض وغيرهم عم عن ذلك لقصوره في الصناعة فلا اعتداد به ولا مضرة لشبوت الإعجاز بعجزاً، وأنتك ثم قياس أقصر سورة على ما ذكره (٣) عدول عن سواء السبيل (وأما الثاني) فلأن القدرة على البعض لا تستلزم القدرة على الكل ولهذا نجد الكثير قادر على بليغ فقرة أو فقرتين أو بيت أو بيتين ولا يقدر على وضع خطبة ولا نظم قصيدة.

(وأما الثالث) فلأن الصحابة لم يختلفوا فيما اختلفوا فيه أنه نازل على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من ربه أو أن بلاغته غير معجزة ولكنهم اختلفوا في أنه قرآن وذلك لا يضر فيما نحن بصدده.

(وأما الرابع) فلأن طلب البينة لما قدمناه في الفائدة السادسة أو للوضع والترتيب كما قيل أو لمزيد الاحتياط في الأمر الخطير (وأما الخامس) فلأن المعجز يظهر في كل مان من جنس ما يغلب ويباغ فيه الغاية القصوى ويوقف فيه على الحد المعتاد حتى إذا شوهدهما هو خارج عن الحد علم أنه من عند الله وإلا لم يتحقق عند القوم معجزة النبي ولظنوا أنهم لو كانوا من أهل تلك الصنعة أو متناهيين فيها لا يمكنهم أن يأتوا بمثلها والبلاغة قد بلغت في ذلك العهد حدها وكان فيها فخارهم حتى علقت السبع باب الكعبة تحدياً بمعارضتها فلما أتى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بما عجزوا عن مثله مع كثرة المنازعة والتشاجر والافتراق علم أن ذلك من عند الله تعالى بلا ريب، واعتراضهم على كون الإخبار بالغيب معجزاً مكابرة فإن الإخبار عن الغائبات مع التكرار والإصابة غير معتاد ولا معنى لكونه معجزاً غير هذا وما ذكره من الوجوه باطل.

(أما الأول) فلأنه لا يلزم من عدم كون الإصابة في المرة والمرتين من الخوارق أن لا تكون الإصابة في الكرات الكثيرة منها والضابط العرف ولا يخفى أن ما ورد من أخبار الغيب في القرآن مما يعد في نظر أهل العرف كثيراً لا اعتداد الإصابة فيه بجملته (وأما الثاني) فلأن أخبار المنجمين ما كان كاذباً منها لا احتجاج وما كان صادقاً وتكررت الإصابة فيه كالكسوف والخسوف غير وارد لانه من الحساب المعتاد لمن يتعاطى

(١) كون الإعجاز بجملته نسبة الامام السيوطي لبعض المعتزلة وقد ورد التحدي بكل القرآن وبمشر سور وبسورة قبل ولو قصيرة لظاهر الاطلاق وقيل تبلغ مبلغا يتبين فيه رتب ذوى البلاغة فافهم وتندبراه منه
(٢) والخبر طويل أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس اه منه (٣) علي انه يكفينا في الغرض كون القرآن بحمائه أو بسوره الطوال معجزاً فافهم اه منه

صناعة التنجيم وأخبار القرآن بالغيوب ليست كذلك وأما أخبار الكهنة فالقول فيها كما في السحر هـ
 ﴿ وأما الثالث ﴾ فلا ن مافي التوراة من الاخبار بالغيب إن كان كثيرا خارقا للعادة ووقع التحدى به
 فهو أيضاً معجز وآية صدق لمن أتى به ولا يضرنا التزام ذلك ﴿ وأما الرابع ﴾ فلا ن له لا يرد على من يقول وجه
 الاعجاز بمجموع ماتقدم أصلاً . ومن يقول وجهه مجرد الاخبار بالغيب يقول بأن الخالي من ذلك غير معجز
 وإنما الاعجاز في القرآن بجملته ويكفي ذلك في غرضه ، والاعتراض على كون وجه الاعجاز عدم التناقض
 والاختلاف مع الطول والامتداد بوجهيه مدفوع ﴿ أما الأول ﴾ فلا ن اشتغال القرآن على الشعر قد سبق
 جوابه فلا يناقض (وما علمناه الشعر) وأما الآيتان الأولى فقد أجاب عنهما ابن عباس حين سأله رجل
 عن آيات من هذا القبيل بأن نفي المسألة قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ، والسدى بأن نفي المسألة عند تشاغلهم
 بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط وإثباتها فيما عداها ، وابن مسعود بأن المسألة المنفية طلب بعضهم العفو
 من بعض والمثبتة على ظاهر معناها فلا منافاة ، وأما الآيتان الأخريتان فعن الأولى منهما (وما منع الناس أن يؤمنوا)
 إلا إرادة الله أن تأتيهم سنة الأولين من نحو الحسب أو يأتيهم العذاب قبلاً في الآخرة ولا شك أن إرادة الله
 تعالى مانعة من وقوع ما يتنافى المراد ، فهذا حصر في السبب الحقيقي . ومعنى الثانية (وما منع الناس أن يؤمنوا) إلا
 استغراب بعثة البشر رسولا وهو مدلول القول التزاما والدال لا يناسب المانعية والمدلول ليس مانعاً حقيقياً بل عادى
 لجواز وجود الايمان معه فهو حصر في المانع العادى فلا تناقض وسيأتى لهذا إن شاء الله تعالى زيادة تحقيق هـ
 وكذا الامثاله مما يضيّق عنه هذا المبحث ، وأما الاختلاف المذكور فليس هو المنفى في قوله تعالى : (ولو كان من عند
 غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لأن المراد به أحد أمرين ، الأول الاختلاف المناقض للبلاغة ، والثاني الاختلاف
 فيما أخبر عنه من قصص الماضين وسير الأولين مع أمية من جاء به وعدم دراسته للعلوم ومطالعة الكتب ولا شك
 أنه لم يوجد في القرآن شيء من هذه الاختلافات على أن أمثال بعض ما ذكر من الاختلاف ليس بقرآن لأنه لم يتواتر
 وأمثال البعض الآخر اختلاف مقال لاختلاف الاحوال ، والمرجع إلى جوهر واحد وهو التراب في خلق آدم مثلاً
 ومنه تدرجت تلك الاحوال وإى ضرر في ذلك ، وأما التكرار اللفظي والمعنوي فلا يخلو عن فائدة لا تحصل
 من غير تكرار كبيان اتساع العبارة وإظهار البلاغة وزيادة التأكيد والمبالغة إلى غير ذلك مما قد أمعن المفسرون
 في تحقيقه وبيانه وستراه بحوله تعالى ، وأما ما يتوهم فيه أنه من قبيل إيضاح الواضحات فليس يخلو عن دراهم احتمال ،
 ورفع خيال ، فانه لو لم يقل فيما ذكر من الآية (تلك عشرة كاملة) لتوهم ولو على بعد أن المراد وتام (سبعة إذا رجعت)
 بل في ذلك غير هذا أسرار ستأتيك ، بعون باريك ، وأما قول عثمان أن في القرآن لحناً فهو مشكل جداً إذ
 كيف يظن بالصحابة أولاً اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن وهم هم ثم كيف يظن بهم ثانياً اجتماعهم على الخطأ
 وكتابته ثم كيف يظن بهم ثالثاً عدم التنبه والرجوع ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره وكيف يتردد لتقييمه العرب
 وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمونه فلم يعمروا إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة هـ
 فالحق إن ذلك لا يصح عن عثمان والخبر ضعيف مضطرب منقطع . وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها
 تقابل مؤنة نقلها والذي أراه أن رواة هذا الخبر سمعوا شيئاً ولم يتقنوه فحرفوه فلزم الاشكال وحل الداء العضال
 وهو ما روى بالسند عن عبد الله بن عبد الأعلى قال : لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه فقال أحسنتم
 وأجملتم أرى شيئاً سنقيمه بالسنتنا وهذا لا إشكال فيه لانه عرض عليه عقيب الفراغ من كتابته فرأى فيه ما كتب

على غير لسان قريش ثم وفي بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئا ولا أحسبك في مرية من ذلك نعم
 يبقى ماروى بسند صحيح على شرط الشيخين عن هشام بن عروة عن أبيه قال سألت عائشة رضي الله تعالى
 عنها عن لحن القرآن عن قوله تعالى (إن هذان لساحران) وعن قوله (والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة) وعن
 نوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون)؟ فقالت يا ابن أخي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب،
 وكذا ماروى عن سعيد بن جبير كان يقرأ (والمقيم الصلاة) ويقول هو لحن من الكاتب ويحجب عن الأول
 أن معنى قولها أخطأوا أى في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه لأن الذى كتبه من ذلك
 خطأ لا يجوز فإن ما لا يجوز مردود وإن طال مدة وقوعه، وهذا الذى رآته عائشة وكملها من رأى رضى الله
 تعالى عنها. وعن الثانى بأن معنى قوله لحن من الكتاب لغة وقراءة له وفى الآية قراءة أخرى وللنحويين فى توجيه
 هذه القراءات كلام طويل ستسمعه فيما بعد إن شاء الله تعالى. وأما الوجه الثانى ((فلان من ذهب)) إلى أن وجه
 الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتدادية قول القرآن بحملته معجز لذلك فسلامة كثير من الخطب
 والشعر من ذلك وظهور ذلك كليا فيما يكون على مقدار بعض السور القصار لا يضره شيئا كما لا يخفى فتدبر *
 وقد أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن وأتوا بوجوه شتى الكثير منها خواصه وفضائله مثل الروعة التى
 تلحق قلوب سامعيه وأنه لا يملئه تاليه بل يزداد حبا له بالترديد مع أن الكلام يعادى إذا أعيد وكونه آية باقية لا تعدم
 ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه، والذى يخطر بقلب هذا الفقير أن القرآن بحملته وابعاضه حتى أقصر
 سورة منه معجز بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى وقد يظهر
 ظها في آية وقد يستتر البعض كالأخبار عن الغيب ولاضير ولا عيب فما يبقى كاف وفى الغرض واف *
 نجوم سما. كلما انقضت كوكب بدا كوكب تأوى اليه كواكب

أما بيان كون النظم معجزا فلأن مراتب تأليف الكلام على ما قيل خمس (الأولى) ضم الحروف المبسوطة بعضها
 إلى بعض فتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف (والثانية) تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض فتحصل
 الجمل المفيدة وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعا فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنشور (والثالثة) ضم
 ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومدخل ومخارج ويقال له المنظوم (والرابعة) أن يعتبر فى أواخر الكلام مع
 ذلك تسجيع ويقال له المسجع (والخامسة) أن يحصل له مع ذلك وزن ويقال له إن قصد الشعر والمنظوم إما محاوراة
 ويقال له الخطابة وإمامكاتبه ويقال له الرسالة لأنواع الكلام لا يخرج عن هذه الأقسام ولكل من ذلك نظم
 مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع بنظم مكتس أبهى حلل، ومتعر عن كل خلل، ومشمتم على خواص
 ماشامها سواء، ومزايا ماسامها عند أهل النقد نظم إلاياه *

من كل لفظ تكاد الأذن تجعله ربا ويعبده القرطاس والقلم
 ويؤيد ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام، والبليغ إذا قرع سمعه
 فصل بينه وبين ما عداه من النظم بلا ترديد وهذا ما لا يخفى فيه على الرجال حتى على الوليد، وأما بيان ذلك فى البلاغة
 فهو أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها فى البيان متفاوتة، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل،
 ومنها الجارى الطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود فالأول أعلاها، والثانى أوسطها، والثالث أدناها وأقربها
 وقد حازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام أوفر حصة وأخذت من كل نوع أعظم شعبة فانتظم لها

بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما كالمضادين فكان اجتماع الامرين فيه مع نبو كل منهما عن الآخر فضيلة ومنزلة جليلة وقد خص بذلك القرآن كما لا يخفى (١) على ذوى الفطر السليمة ومن كان له في علم البلاغة إتقان، وأما بيان إعجاز اشتماله على الاخبار بالغيب فلا تنه تضمن ما يحكم العرف بكثرة من أخبار القرون الماضية والامم البادية والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذى قطع عمره في تعلم ذلك وتبعه فيورده القرآن على وجهه ويأتى به على نصه، ومن المعلوم أن من أتى به أمى لا يقرأ ولا يكتب صلى الله تعالى عليه وسلم مع الاعلام بما فى ضمائر كثيرين من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله تعالى: (إذ هم طائفان منكم أن تفشلا) وقوله تعالى (ويقولون فى أنفسهم لو لا يعذبنا الله) والاعلان بالحوادث المستقبلية فى الأعصار الآتية كقوله تعالى: (ألم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وأخبار اقوام فى قضايا انهم لا يفعلونها فى فعلوا ولا قدروا كقوله تعالى خطا باليهود (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتموه أبدا) فيما ناه أحد منهم إلى أضعاف مضاعفة من مثل ذلك قد اشتمل القرآن عليها واختص من بين الكتب بها حتى أن أقصر سورة فيه وهى الكوثر تشير إلى أربعة أخبار عن الغيب مع أنها ثلاث آيات (الاول) فى قوله تعالى (إننا أعطيناك الكوثر) إذا أريد به كما فى بعض الروايات كثرة الاتباع (والثاني) فى قوله (وانحر) حيث أريد به كما هو الظاهر الامر بالنحر فهو إشارة إلى اليسار حتى يمكنه الاقدام عليه (والثالث والرابع) فى قوله تعالى (إن شئت لك هو الأبر) حيث صرح ورم بأن شئت لك لانت أبر لا عقب له فكان كما اخبر ولا شك عند كل عاقل أن مجموع ما ذكرنا يعجز عنه البشر وأما إعجاز موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى فلا تنه اشتمل على توحيد الله تعالى وتزييه والدعاء إلى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم ووعظ وتعليم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وإشارة إلى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها واضعا كل شئ منها موضع الذى لا يرى أولى منه ولا أليق ولا يتصور أخرى من ذلك ولا أخلق جامعاً بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أو كد للزوم مادعاليه وامثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه مع إشارة أنيقة ورموز دقيقة واسرار جزيلة وحوكم جليلة ستقف إن شاء الله تعالى على الكثير منها بحيث لا تبقى فى شك من رد من يقول بأن ذلك معتاد فى أكثر كلام البلغاء وأنه ينتقض بالتوراة والانجيل وبكلام الرسول الغير المعجز فأين اثريا من يد المتناول

وما كل مخضوب البنان بشية ولا كل مصقول الحديد يمانى

فهذه الأوجه الأربعة هى الظاهرة فى وجه إعجاز القرآن والمشهور عند الجمهور الاقتصار على بلاغته وفصاحته حيث بلغت الرتبة العليا والغاية القصوى التى لم تكد تخفى على أهل هذا الشأن حتى النساء كما يحكى أن الاصمعي وقف متعجبا من امرأة تنشد شعرا فقالت أتعجب من هذا أين أنت من قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إن ارادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فقد جمع أمرين ونهيين وبشارتين أى مع ما فيه مما يدرك بالذوق، وبعضهم جعل المدار النظم الخصوص والباق تابع له قائلا إن الاعجاز المتعلق بالفصاحة والبلاغة لا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى فان الالفاظ ألفاظهم كما قال تعالى (قرآنا عربيا بلسان عربى) ولا بمعانيه فان كثيرا منها موجود فى الكتب المتقدمة كما قال تعالى :

(١) وقال السكاكى أعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن والملاحظة وطيب النغم ولا يدرك

تفصيله لغير ذوى الفطر السليمة إلا باتقان علمى المعانى والبيان والتمرن فيهما فليفهم اه منه

(وإنه لفي زبر الأولين) ومافيه من المعارف الالهية وبيان المبدأ والمعاد والاخبار بالغيب فاعجازه ليس برافع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونه حاصل من غير سبق تعليم وتعلم ولكون الاخبار بالغيب إخباراً بما لا يعتاد سواء كان بهذا النظم أو بغيره مورداً بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة، فاذا هو متعلق بالنظم المخصوص الذي هو صورة القرآن وباختلاف الصور يختلف حكم الشئ واسمه لا بعنصره كالحاتم والقرط والسوار إذا كان الكل من ذهب مثلاً فان الاسم يختلف والعنصر واحد وكالحاتم المتخذ من ذهب وفضة وحديد يسمى خاتماً والعنصر يختلف فظهر أن الاعجاز المختص بالقرآن متعلق بنظمه المخصوص وإعجاز نظمه قد سلف بيانه وأنت تعلم مافيه وإن كان قريباً إلى الحق، وأبعد الأقوال عندى كونه بالصرقة المحضة حتى أن قول المرتضى فيها غير مرتضى كما لا يخفى على من أنصف ذهنه واتسع عطنه، وأبعد من ذلك كونه بالقدم كما هو قريب بمن هو حديث عهد بما تقدم - وسيأتى إن شاء الله تعالى - تنمة لهذا الكلام من بيان اختلاف الناس أيضاً في تفاوت مراتب الفصاحة والبلاغة في آياته ويتضح لك ما هو الحق والحقيق بالقبول والله تعالى المتبغى والمسئول، ولنقتصر من الفوائد على هذا المقدار وفي السبعة ما لا يحصى من الأسرار، وهذا أو ان تقبيل شفاه الأقلام، حروف سبحان كلام الله تعالى العلام.

(سورة فاتحة الكتاب)

اختلف فيها، فالأكثر على أنها مكية بل من أوائل ما نزل من القرآن على قول (١) وهو المروى عن علي وابن عباس وقتادة وأكثر الصحابة وعن مجاهد أنها مدنية (٢) وقد تفرد بذلك حتى عده فوة منه، وقيل نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة لما حولت القبلة ليعلم أنها في الصلاة كما كانت وقيل بعضها مكى وبعضها مدنى ولا يخفى ضعفه، وقد طبع الناس بالاستدلال على مكيتها بآية الحجر (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) وهي مكية لنص العلماء والرواية عن ابن عباس ولها حكم مرفوع لأن ما قبلها وما بعدها في حق أهل مكة كما قيل لأنه مبنى على أن المكى ما كان في حق أهل مكة والمشهور خلافه، والأقوى الاستدلال بالنقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي والتنزيل لأن ذلك موقوف أولاً على تفسير السبع المثاني بالفاتحة وهو وإن كان صحيحاً ثابتاً في الأحاديث (٣) إلا أنه قد صح أيضاً عن ابن عباس وغيره تفسيرها بالسبع الطوال، وثانياً على امتناع الامتنان بالشئ قبل إيتائه مع أن الله تعالى قد امتن عليه صلى الله عليه وسلم بأمر قبل إيتائه إياها كقوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) فهو قبل الفتح بسنين والتعبير بالماضى تحقيق للوقوع وهذا وإن كان خلاف الظاهر لاسيما مع إيراد اللام وكلمة (قد) ووروده في معرض المنة والغالب فيها سبق الوقوع وعطف (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به) الآية إلا أنه قد خدش الدليل، لا يقال إن هذا وذلك لا يدلان إلا على أنها نزلت بمكة، وأما على نفي نزولها بالمدينة

(١) فقد روينا عن أنى ميسرة أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع منادياً يناديه يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق هارباً فقال له ورقة بن نوفل إذا سمعت النداء فابت حتى تسمع ما يقول لك قال فلما برز سمع النداء يا محمد قال ليلى قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم قال: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) حتى فرغ من فاتحة القرآن ولولا صحة الاخبار على غير هذا النحو كان هذا الخبر أقوى دليل على مكيتها فافهم اهـ (٢) ويلزم منه أنه ﷺ صلى بضع عشرة سنة بلا فاتحة وهي خاتمة في البعد اهـ منه (٣) فقد روينا عن أنى هريرة قال «إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال والذي نفسى بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلاً لها إنما هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أوتيته اهمنه